الباب الثالث
شبه القارة الهندية مأساة متكررة

الفصل الأول
أولاً: استنساخ نماذج القهر
ثانيًا: حلم إقبال
ثالثًا: أفغانستان: أمجاد وحضارة
رابعًا: نماذج من الشرق الأقصى
خامسًا: الأقليات الإسلامية فى آسيا

الفصل الثانى
أولاً: ميلاد حرب جديدة
ثانيًا: نظام اللانظام.
ثالثًا: الحضارة الإسلامية فى النظام العالمى الجديد
رابعًا: بائعو الوهم
خامسًا: العداوة عالمية وجهرية

الفصل الثالث: العصافير فى القفص الأمريكى
أولاً: ألوان الطيف
ثانيًا: العلمانية والزمن الردئ
ثالثًا: اللقيطة والعسل المسموم
رابعًا: إحياء الميت وإماتة الحى
خامسًا: السعى نحو النهاية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

أولاً : (أ) استنساخ نماذج القهر

هبت الهند فى ثورات عارمة ضد الإستعمار الإنجليزى مبكرًا عن إفريقيا نظرًا لعوامل الضعف التى تعرضت لها إفريقيا دون سواها.

وكان المسلمون هم قيادات هذه الحركات الثورية، ولذلك أصبح المسلمون هدفًا دائمًا لإنتقام الإنجليز والإيقاع بهم خاصة بعد الإعلان البريطانى بتبعية الهند للتاج البريطانى وما ترتب عليه من آثار (سبق ذكرها) ، فحمل المسلمون عبء الجهاد ومقاومة الإستعمار، وتولد عن ذلك نشوء فرصة ذهبية للإنجليز بالإيقاع بمسلمى الهند ليمتد بذلك تطلعهم للصراع ضد الدين الإسلامى الحنيف، خصوصا أن المسلمين حكموا الهند طيلة ثمان مائة سنين، وهو ما يعنى القضاء على الحكم السابق ودَحْر بقاياه، واندثار أخباره على أمل استقرار الأوضاع لصالح الإنجليز، وقد سنّ الإنجليز قوانينًا جديدة تُضعف المسلمين، وعينوا قضاة للحكم بموجب القوانين الجديدة من الهندوس، ومن الإنجليز أنفسهم، واستولوا على أملاك الدولة والأوقاف.

واستبد الإنجليز بالمدارس التى تحمل الطابع التبشيرى الذى يخدم أغراضهم الإستعمارية، وبالتالى فقد عُنيت هذه المدارس عناية خاصة وكاملة بإبعاد الطلاب عن الإسلام أو بجذبهم إلى المسيحية، واستبعد الإنجليز المسلمين من الوظائف القيادية والتحتية فى قوات النظام (الأمن)، والجيش، والمناصب الكبرى، وقد وضع الإنجليز حواجز ضَخْمة بينهم وبين المسلمين فى الهند بوجه خاص.

أما أخطر المساوئ التى نتجت عن استيلائهم على أموال الأوقاف الإسلامية أن أُغلقت المدارس الإسلامية لإنعدام الواردات، والافتقار إلى أى دخل على جملة التعذر والندرة، وامتنع المسلمون عن إلحاق أولادهم بالمدارس التى أنشأها الإستعمار خشية إبعادهم عن الدين أو تنصيرهم وبذلك ابتُلِى المسلمون بأربع يرمينهم من كل جانب (الإنجليز، الجهل، الفقر، والمرض).

هذا غير أنه كانت هناك مدرسة واحدة تعد من أهم مدارس الفكر والجهاد فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ الإستعمار فى الهند، وهى المدرسة التى عاصرت أحرج الفترات فى تاريخ الإسلام فى الهند، وكان لقائدها (شاه ولى الله الدهلوى) من

(١٧٠٤ : ١٧٦٣) مدة حياته – دوره البارز والهام فى الدفاع عن الإسلام والمسلمين دفاعًا عظيمًا، حيث أعلن « شاه ولى الله » أن الجهاد أصبح هو الطريق الوحيد للمسلمين وأن الهند « دار حرب، وليست دار سلام »، وأن الواجب على المسلمين أن يهبوا للدفاع عن بلادهم ضد الإستعمار الذى انتقلت إليه السلطة الفعلية فى البلاد بعد أن سلبوها بالقوة، وأوجب كذلك القتال ضد السيخ الذين زادوا من عدوانهم على مسلمى الهند تحت رعاية الإنجليز وبدعمهم.

وقد وضع « شاه ولى الله » النُواة الأولى لمقاومة الإستعمار، وقد ساهم فى ذلك إصدار كتابه الجديد (حجة الله البالغة) الذى يعتبر بحق منارة الفكر للباحثين لإرتكازه على صحيح الدين فى القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، هذا بالإضافة إلى العمل البناء فى التقريب بين التصوف من جانب، والفقه والسنّة من جانب آخر، وكانت هذه هى أول مدرسة توفيقية تظهر فى هذا المجال.

وقد تطورت أمال الهنود، وتطلعوا إلى الإستقلال بعد عشرات السنوات من رحيل (ولى الله) فى ١٧٦٣م، حيث ظهرت جماعتان مهمتان كان لهما دور كبير فى استقلال شبه القارة الهندية، وفى قيام باكستان وهما:

المؤتمر الوطنى:

منظمة سياسية هندية أُسست فى ١٨٨٥م من ممثلين للهندوس، والمسلمين الهنود، وأعضائها من المثقفين، وكانت تعمل فى بادئ الأمر من أجل الإستقلال الداخلى للهند، واتخذت الوسائل الدستورية لذلك.

تطور فكر المؤتمر وغير اتجاهه فطالب بالإستقلال التام بضغط من المتشددين المكافحين من أعضائه بقيادة المهاتما غاندى.

واتخذ حزب المؤتمر المقاومة السلبية سياسةً له حتى أعلن إستقلال الهند من طرف واحد فى ١٩٣٠.م فحاربت حكومة الهند الإنجليزية قادته، واعتقلت عددًا منهم وألقت فى السُجُون آخرين، وقد حدث تحول كبير فى سياسة منظمة المؤتمر الوطنى بعد ظهور حزب الرابطة الإسلامية.

* * *

ثانيًا: حزب الرابطة الإسلامية:

وهو حزب سياسى تكون فى الهند بزعامة (نواب سليم الله) فى ١٩٠٦/١٢/٣٠م واستجاب له زعماء المسلمين سواء من المنتمين لحزب المؤتمر، أو من المنضمين الجدد، وقد اتّجه الحزب فى مراحله الأولى إلى حماية حقوق المسلمين فى شبه القارة الهندية، سبيلهم إلى ذلك العمل جنبًا إلى جنب مع أعضاء حزب

المؤتمر من الهنود للمطالبة معًا بالحكم الذاتى للهند، ثم بالإستقلال التام، على أن يكون للمسلمين حقوقهم الطبيعية فى الهند.

انتشر أعضاء الرابطة الإسلامية، وذاع صيتهم، وعقدوا اجتماعاتهم فى كل أرجاء شبه القارة فى (دكّا - بومباى - كلتكتا - الله آباد - دلهى - لاهور - كراتشى) وكانت قرارات الحزب وتوصياته لخدمة المصالح الإسلامية، ورعاية المجتمع الإسلامى فى الهند.

وفى اجتماع الرابطة سنة ١٩٣٠م فى (الله آباد) ألقى الشاعر الإسلامى الفيلسوف (محمد إقبال) بيانًا أُعتبر آنذاك معبرًا عن شعور المسلمين وآمالهم، وطموحاتهم، حيث قال (إن الوسيلة لتحقيق آمال المسلمين لا تكون إلا بتكوين دولة خاصة لهم فى الهند)[١].

ومن أبرز الشخصيات المؤسسة لحزب الرابطة الإسلامى - الشاعر الإسلامى محمد إقبال، ولياقت على خان (أول رئيس وزراء للباكستان) ومولانا محمد على وأخوه شوكت على ثم القائد الأعظم [محمد على جناح] الذى كُتب له أن يقود حزب الرابطة الإسلامى نحو تحقيق آمال المسلمين فى الهند.

* * *

(ب) سيد أحمد خان

وُلد فى ١٨١٧م وتوفى سنة ١٨٩٨م، يمكن القول أنه بحق قائد عصر الصحوة والنهضة، والتنوير والتطوير بعد (شاه ولى الله) حيث كان الرُجلان يعملان على رفع شأن المسلمين فى الهند، وإن اختلفا فى أسلوب معالجتهما للمواقف وتطويعهما للظروف، فقد عَلِمْنا أن (ولى الله) اهتم بالعلم والجهاد، أما سيد أحمد خان، فقد اهتم بالعلم وحده، باعتباره ضرورة للقضاء على الجهل والتخلف، وكان يرى أن الجهاد فى سبيل الإستقلال يمكن أن يأتى بعد ذلك. وقال فى ذلك جملة شهيرة (لا استقلال لجاهل أو مخرف).

ربما جاء ذلك منه لأنه كان يرى أن الجهاد أمل بعيد بسبب تمكن السلطة الإنجليزية من البلاد فى عصره، فسلك مسالك متنوعة.

هاجم «السيد أحمد خان» اتجاهات بعض الصوفية بتقديس الأولياء، والأضرحة، وعَدَّ ذلك زندقة لا تمثل الإسلام، خاصة مع نجاح الإنجليز فى استمالة

---

(١) الحضارة الإسلامية ص ٣٢٧.

بعض العناصر الصوفية، ونجاحه فى حقنها بثقافة غربية لا تتفق مع تعاليم الإسلام جملة وتفصلاً، خاصة إذا سلمنا بأن الصوفية من حيثية الأصل (هى صنيعة استعمارية خالصة)[١]، تعمل فى خدمة الإستعمار، وتدافع عن مصالحه بشكل غير مباشر، فشأن الصوفية منذ نشأتها إخراج الناس من عبادة الله إلى عبادة المشايخ، ومن التوحيد إلى الشرك وعبادة القبور، ومن السنة إلى البدعة، ومن العلم بالكتاب والسنة إلى تلقى البدع والخرافات، ممن يدعون رؤية الله، والملائكة، والرسول، والجنة، وقد كان سيد أحمد خان محقًا بكل الوجوه فيما ذهب إليه، حيث كان قول أهل الصوفية فى الجهاد – «إنكاره» – وقالوا أن التسليم للغاصب المستعمر واجب دينى، لأن المقاومة عندهم اعتراض على قدر الله، وامتناع لحصول مشيئته وعقيدتهم الراسخة تنطق فتقول (إذا سلط الله على قوم ظالمًا فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو أن يتأفف منها)[٢].

وهذه أدعيتهم يقولونها عند حلقات الذكر: (رهيم . رهام)، (هو. هو)، (ياهو ياهو)، (الغوث، والغياث).

وهذه عباداتهم: فقد ذكرت بعض فرقهم أن الصوفى إذا تقدم به السن رُفِعَت عنه التكاليف، كما يزعمون من جميع العبادات كالصلاة وغيرها.

وهذا شعرهم: الذى بلغ ذروة الأسف على التصوف، والمتصوف الغارق فى بحر العشق الإلهى الذى لا يفيق من نشوته التى تشهد بها أشعاره الفاسدة، فيما قال شاعرهم «الحلاج» الصوفى[٣]

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن رُوحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا

كما تجرأ على الله تعالى بقوله:

مزجت روحك فى روحى كما ... تمزج الخمرة بالماء الذلال
فإذا مسك شىء منى ... فإذا أنت أنا فى كُلِّ حلال

وإليك أسوق قولته الشهيرة عندما سأله سائل عن بطن الجُبّة فقال: «ما فى الجبة[٤] إلا الله».

---

(١) تبصير الأذهان ببعض المذاهب والأديان ص٤٩.

(٢) المصدر السابق، الصفحة ذاتها.

(٣) تعرف عليه أكثر، وعلى نماذجه الكثيرة فى كتابنا القادم/ أغوار العالم الإسلامى.

(٤) الجُبّة: ثوب سابغ واسع الكُمّين مشقوق المقدم، يُلبس فوق الثياب، كثيرا ما يرتديها علماء الدين والمشايخ، وكانت لباسا رسميًا للطلبة إلى عهد قريب.

وعلى الرغم من أن (خان) اهتم بالتعليم، وحارب الصوفية إعمالاً لصحيح الدين إلا أن الكثيرين اعتبروا مهادنته للإنجليز خيانة وطنية.

غير أنه لم يأبه لهؤلاء وسار مُصراً فى طريقه غير متردد، متجهًا بجهد مشكور وعمل عظيم نحو الإصلاح الإجتماعى، والنهضة الثقافية، وأنشأ المدارس التى لا يهابها المسلمون، وتعاظم تفكيره فعمل على إنشاء جامعة تسير على نهج الجامعات الغربية، فأقام كلية فى (عليكرة) بالغرب من دلهى، وقد تحولت بعد إلى جامعة شهيرة، وتوالى بعدها بناء الكليات، والجامعات، فأُنشئت دار العلوم فى أواخر القرن التاسع عشر سنة ١٨٧١م، ثم الجامعة الملّيَّة الإسلامَية سنة ١٩٢١ .م، ثم أُسست جمعية علماء الهند خلال الحرب العالَمية الأولى، وكانت لها صحف ومجلات وأنشطة دينية وإجتماعية واسعة، كما اهتمت بإنشاء المدارس الإسلامية، والأنشطة التربوية والدينية.

تتابعت الأجيال وتواصلت الأفكار، وتطورت مأساة المسلمين فى الهند حتى وصلت إلى حد إرتكاب الفظائع والمجاذر البشعة بين المسلمين والهندوس وكانت ضحايا المسلمين فيها أكثر بكثير.

حتى تعالت الأصوات بتقسيم الهند، وإقامة دولة إسلامية، حدد ملامحها، وبين حدودها الجغرافية عندما قال (إنى أحب أن أرى البنجاب ومقاطعة الحدود الشمالية الغربية، والسند، وبلوخستان) قد اتحدت جميعها فى دولة واحدة تحكم حكمًا ذاتيًا فى داخل الإمبراطورية البريطانية أو خارجها.

وقد علق الرسميون الباكستانيُّون على هذا الخطاب بقولهم (إن حل المشكلات المعقدة المرتبطة بالمسلمين بالهند جاء لا من قبل أحد الساسة، ولكن من قبل أحد الشعراء المفكرين، وهو الفيلسوف « محمد إقبال ».

* * *

ثانيًا : حلم إقبال

(أ) قيام دولة باكستان

ظهرت بوضوح حالة الإنقسام التى وقعت بين الحزبين الكبيرين فى الهند خاصة بعد المعارك الدامية بين الهندوس والمسلمين، وأصبحت بالتالى هناك مؤسستان، تعمل إحداهما لصالح الهندوس (المؤتمر) والأخرى لصالح المسلمين (الرابطة).

وازْدَادَ الرابطةُ الإسلامى قُوةً بإنضمام « محمد على جناح » إليه فى ١٩١٢م بعد

انشقاقه على المؤتمر الوطني لتيقُّنه من صعوبة التوفيق بين الحزبين، الكبيرين، واستحالة العمل معًا لصالح الهند الموحدة خاصة مع نثر بذور الشقاق والخلاف، وبث سموم النزاعات والمصادمات الدامية التي زرعها ورواها الإنجليز فازداد حجم الخلافات وازدادت كذلك اتساع الهوة بين أبناء شبه القارة، وقد بدأ الشاعر الإسلامي (محمد إقبال) يصرح وبشدة بضرورة التقسيم في عام ١٩٣٠م، بعد وقوع المجاذر المشار إليها، وابتداء من هذا التاريخ بدأ الإتجاه لتقسيم الهند يتصاعد يومًا بعد يوم حتى جاء عام ١٩٣٧.م، وفيه أعلن القائد الأعظم «محمد على جناح» أن الإستقلال التام هو هدف المسلمين بالهند، وصرخَ قائلا: (إن المسلمين لن ينزعوا عن أعناقهم أغلال الإنجليز، ليلبسوا أغلال عبودية الهندوس).

تلك الصرخَة كانت حجر الزاوية الذى أقامت عليه الرابطة الإسلامية فى إجتماعها بلاهور عام ١٩٤٠.م قرارها بالتقسيم، وأعلن جناح أن المسلمين والهندوس، أمَّتَان مختلفتان فى الثقافة، والحضارة، واللغة، والفن، والتشريع، والتراث، وأن مائة مليون مسلم على الأقل لا يمكن أن ينتقلوا من عناء إلى عناء.

والواجب الذكر ههنا أن كلمة (باكستان)[1] ظهرت لأول مرة عام ١٩٣٢.م، وهى بمعنى (أرض الأطهار، أو دولة الأطهار)، وجاءت على لسان أحد الزعماء المسلمين المناضلين (شودرى رحمة) وفى العام ذاته قام مسلمو كشمير بنضال باسل ضد المظالم التى كان يلحقها بهم المهراجا غير المسلم المعين حاكمًا لبلادهم، وقد أصدر البرلمان البريطانى فى ١٩٣٥.م قانون حكومة الهند، ثم أُجريت الإنتخابات فى ١٩٣٧م، ونال حزب المؤتمر أغلبية كبيرة، وألَّف حكومات فى زوايات الهند كلها، ولم يُشرك فيها الرابطة الإسلامية.

ولم يكتف المؤتمر بهذا بل راح يضيق الخناق على اقتصاديات المسلمين وعمل بنشاط كبير على مَحْوِ تُراثهم الثقافي.

صار هذا الإتجاه السائد دافعًا قويًا ومدعاة ضرورية إلى التمسك بتقسيم الهند، وقيام دولة باكستان، وعقدت الرابطة الإسلامية سنة ١٩٤٠م مؤتمرها السنوى «بلاهور» وفيه اتُّخذ قرار يقضى بوجوب تقسيم شبه القارة، وتاسيس دولة إسلامية مستقلة ذات سيادة، وهو القرار الذى عُرف باسم (قرار باكستان).

وفى ١٩٤٤م. عقدت سلسلة من الإجتماعات بين (غاندى، وجناح)، وصرح أحد زعماء الهندوس فى أحد الإجتماعات بأنه يرى منح المسلمين الحق فى تقرير

---

(١) هى – من: باك – بمعنى: طُهْر، (ستان)– ومعناها: ارض – اى دولة الأطهار.

مصيرهم، وأعلن زعيم الهند (غاندى) أن مسلمى الهند لو اتفقوا على تنفيذ مشروع التقسيم فلن تُوجد على هذه الأرض قوة تحول بينهم وبين ذلك.

وفى ١٩٤٦م اتُخذت كل التشكيلات والمجالس لحزب الرابطة بعموم الهند قراراً، عززوا فيه قرار ١٩٤٠م الداعى لوجوب التقسيم، وطالبوا الحكومة البريطانية بإصدار إعلان صريح عن قيام هذه الدولة، إلا أن الإنجليز ماطلوا، وتقاعسوا، وخيبوا آمال المسلمين مجاملة للهندوس الرافضين للتقسيم.

فخرج المسلمون فى عام ١٩٤٦م فى شتى أنحاء الهند فى مظاهرات عارمة ضَمّت القيادات، والأفراد، متهمين بريطانيا بالتحيز مع الهندوس.

وفى مطلع عام ١٩٤٧م بدأ المسلمون حملة كبيرة ومنظمة من العصيان المدنى العام، اشترك فيه الشباب والشيوخ، والرجال والنساء.

ومع الإصرار الكبير، والاتجاهات السياسية، والإجتماعية النشطة، وحملات العصيان. أرسلت حكومة لندن [لورد مونتباتن] نائباً عن الملك، وهناك أعلن قرار الحكومة البريطانية الجلاء عن شبه القارة نهائياً قبل ١٥/٨/١٩٤٧م، وتقسيمها إلى دولتين «هندستان - باكستان».

وبدأت بذلك باكستان الكبرى المسلمة بعَلَمها الخفاق بين أعلام العالم الإسلامى كله وعُيِّن محمد على جناح حاكماً عاماً لباكستان، وعين مندوب الملك الإنجليزى حاكماً عاماً على الهند بناء على توصية حزب المؤتمر.

* * *

(ب) مأساة الباكستان

عندما أعلنت حكومة لندن على لسان مندوبها قيام دولة باسكتان، لم يكن ذلك منها بغرض الحفاظ على حياة المسلمين ورعاية مصالحهم، وضمان وحدتهم وقوتهم، لأن الحاكم الهندستانى (اللورد مونتباتن) بالاتفاق مع الهندوس سمح بقيام الباكستان المكونة من قسمين، باكستان الشرقية ومساحتها [٥٠ر٥٤] ميلا مربعاً، وباكستان الغربية ومساحتها (٢٣٦ر٣١٠) ميلا مربعاً.

هذا التقسيم يضمن إنبات بذور الفتن والإضطرابات منذ ولادة باكستان المتعثرة، وذلك لأن الباكستان الشرقية تتمتع بوفرة السهول الخصبة، والأنهار والجداول، وتمتلك كل مقومات الحياة، والإقتصاد، والترف.

أما الباكستان الغربية فهى تقع على مساحات واسعة من الصحراء الوعرة ويكثر بها الجفاف، وهذه هى نقطة تولد الصراع وقوة العزيمة، وشدة البأس للتغلب على الطبيعة.

هذا بالإضافة إلى المسافة بين قسمى الدولة (الشرقية، والغربية) التى تبلغ ١٠٠٠ (ألف) ميل هى مساحة الأراضى الهندية المعادية، والفاصلة بين شطرى الدولة المقسّمة.

وقد كانت باكستان الشرقية غَريبةً على الغَرْبِيَّة بسبب اختلاف اللغة، والطبيعة الجغرافية، والعنصر البشرى، ولم يكن هناك رابطة غير الدين زد على ذلك أن باكستان الشرقية إذا نظرت إليها فى الخريطة الصماء تجد أن الهند توشك أن تبتلعها، فهى تحيط بها من الشرق والشمال، والغرب، ولذلك تركتها لتنضم لباكستان، وهى واثقة أنها غنيمة فى يدها، وقريبة لها فى الوقت المناسب، وقد رفضت الحكومة الهندية بإصرار منذ نشأتها فكرة إنضمام منطقة كشمير المسلمة لباكستان الغربية علماً بأنها جار ملاصق، تضمها حدود، ولغة، وثقافة، وتراث مشترك، وذلك لأن انضمام كشمير للباكستان سيكون إذ ذاك أبدياً، وسينتج عنه قوة للمنطقتين.

وهذه وتلك صناعة إستعمارية خالصة ترمى إلى خلق بؤر للتوترات والنزاعات، والمصادمات لفترات طويلة، كى تستنزف خيرات الهند والباكستان معًا، وحتى لا تنهض الحركة الإسلامية بالهند كما كانت قبل التقسيم، وكى لا تعود الحضارة الهندية العظيمة التى لها فضل كبيرة حتى الآن فى مكونات التاج الملكى البريطانى وتجميله بالماسّة الهندية السليبة.

أما المسلمون فى الهند فقد كانوا يعيشون فى بقاع شبه القارة الهندية بتفاوت ملحوظ فى الكثافة، من مكان إلى آخر، وقد ظهرت مشكلة البنغال الذى تم تقسيمه إلى بنْغَال شرقية تتبع باكستان الشرقية، وبنغال غربية تبعت الهند، وهذا ما يتطابق تماماً مع إقليم البنجاب – فالبنجاب الغربية تبعت باكستان الغربية، والبنجاب الشرقية تبعت الهند.

وقد تعرض المسلمون فى البنجاب الشرقية، والبنغال الغربية، وكذلك فى العاصمة الهندستانية «دلهى» التى كانت تذخر بالملايين من المسلمين الذين لم يهاجروا إلى أى من القسمين الباكستانيين – تعرضوا لمجازر رهيبة فى تلك المناطق على أيدى الهندوس الأكثر عدداً، والمسلحون تسليحًا جيداً من لدُن الإنجليز والحكومة – وذلك فى عَقب قرار التقسيم الصادر فى ١٥/٨/١٩٤٧م.

وبعد جهود مضنية تمت هجرات متبادلة بين الجانبين، إلا أنها تمت فى ظروف أليمة، زيادة على ما لاقاه المسلمون من جور وطغيان، وقهر وقمع، وقتل وتشريد من قِبَلِ الهندوس، والسيخ قبل التقسيم.

ويعانى المسلمون فى الهندستان من عدم الحصول على حقهم فى الوظائف العامة والرئيسية.

وتجدر الإشارة إلى أن عدد المسلمين الذين آثروا البقاء فى الهند على الهجرة إلى باكستان عند التقسيم حوالى (ثمانين ٨٠ مليونًا) وهم يزيدون الآن على المائتى مليون مسلم داخل الهند الهندوسية.

هذا وقد أقبل المنبوذون فى الهند على اعتناق الإسلام، والبالغ عددهم حوالى مائة مليون فرد من السيخ والهندوس على السواء، وقد توجهوا إلى الإسلام بقوة، يبتغون فيه العزة بعد الذل والكرامة بعد الهوان، وكذلك بحثًا عن المساواة، والحق والخير، لأنهم فى ظل حكومتهم الهندوسية حُرموا من الوظائف المناسبة وعانوا أشد المعاناة من الفقر، والجهل، والتخلف.

* * *

(جـ) مشكلة حيدر آباد

حيدر آباد: هى إحدى المقاطعات الهندية الواقعة على الحدود الباكستانية الجنوبية، وحاكمها هو الأمير (عثمان على خالد)، وقد آثرت تلك المقاطعة الإستقلال عن الهند والباكستان، وقد أغضبت هذه الرغبة الحكومة الهندية، فانتهز حكام الهند وفاة القائد الأعظم محمد على جناح فى ١١/٩/١٩٤٨م، وأثناء انشغال الباكستان بهذا الحدث الجلل – اقتحمت الجيوش الهندية المقاطعة – وقاوم جيش حيدر آباد بضعة أيام غير أنه أعلن استسلامه فى النهاية أمام الزحف الهندى الجرار، وحملت الهند ثروة الزعيم (عثمان) الذى يُعد من أغنى أغنياء العالم فى وقته، فملأت خمسة قطارات أثْقَلَها الذهب والفضة التى عثروا عليها بقصوره، بالإضافة إلى صناديق مكتظة باللؤلؤ والجواهر.

ولا تزال المنطقة موضع صراع مرير حتى الآن، خاصة إذا علمنا أن نسبة السكان المسلمين إلى الهندوس لا تتعدى ٦٪، ومن ثم فإنهم أقلية فى بلاد الزندقة والكفر.

* * *

(د) مشكلة جمُّو وكشمير

لعلك تلاحظ أن إقليم حيدر آباد سابق الذكر ذو الأغلبية الهندوسية تم تعيين حاكم مسلم له كما تقدم ذكره، فتلك إذا هى السياسة الثابتة للإستعمار الذى دأب على مغايرة دين الحاكم لدين الأغلبية المحكومة.

وفى جمُّو وكشمير الواقعة على قمة جبال الهملايا التى كان يسكنها عند التقسيم (٥) خمسة ملايين مواطن، منهم ٨٠٪ من المسلمين، وعلى الرغم من ذلك فقد عين الإستعمار حاكماً هندوسياً لهذه المنطقة ذات الأغلبية المسلمة الساحقة، والملاصقة للباكستان الإسلامية.

سُرَّ المسلمون فى الإقليم سروراً كبيراً، وفرحوا فرحًا عظيمًا بتنفيذ قرار التقسيم، وعملوا بجهد جبار حتى يتمكنُوا من الإنضمام للباكستان، فهى الدولة الأم بالنسبة لهم، كما أن انضمامهم واندماجهم فى الباكستان يعنى خلاصهم من عسف الحاكم الهندوسى، وحُوره، فقد استبد بهم، وأنزل بهم سوء العذاب، وأذاقهم ألوان الإضطهاد، غير أن الوالى الهندوسى المعين من قبل الحاكم العام الإنجليزى على الهند لم يكن يريد الإنضمام للباكستان، فاستقطب جماعات من السيخ، والهندوس من ولاية البنجاب ذات الأغلبية الهندوسية إلى مقاطعته ليقوى بهم ضد المسلمين، وانفجرت الأوضاع فى جمُّو وكشمير بعد تذمر المسلمين من تصرف المهراجا الوالى، وامتد الصراع حتى طال الوالى ومساعديه من المسلمين – وفر إلى الهند، وهناك أعلن عن رغبته فى الإنضمام إليها، وطلب منها العون والمساعدة، فاتخذت من دعوته ذريعة، واندفعت بقواتها نحو كشمير، واحتلت الجزء الأكبر من كشمير، واستطاعت باكستان الإستيلاء على الجزء الباقى الذى اندفعت إليه لحماية المسلمين من بطش الهندوس من جانب ولتحقيق آمالهم فى الإنضمام إليها من جانب آخر.

وبات شعب جَمُّو وكشمير يستصرخ العالم – والأمم المتحدة لإجراء انتخابات حرة تحت رعاية الأمم المتحدة لتحديد مستقبله، وتقرير مصيره، ولا أحد يزيل صراخ المستصرخين حتى الغد.

وما زال الجيشان الهندى والباكستانى يقف كل منهما فى وجه الآخر وتحدث بينهما مواجهات يقع فيها العديد من القتلى منذ بداية الصراع وحتى كتابة هذه السطور.

* * *

(هـ) مأساة باكستان الشرقية

قلنا أن إقليم البنغال تم تقسيمه بين باكستان، وهندستان، وحقيق بنا فى هذا المقام أن نقول أن المسلمين بدأوا صلاتهم بالبنغال فى أوائل الهجرة وقد استفاد المسلمون من رحلات الجغرافيين، والتجار العرب فى إقامة الصلات القوية والعلاقات المتينة مع البنغاليين، وقد تطورت هذه الصلات عبر السنوات حتى زادت وازدهرت فى عصر الدولة العثمانية.

وقد استولى المسلمون على إقليم البنغال عام ١٢٠٢م ، وقد أصبحت بذلك جزءاً من العالم الإسلامى، وأخذت فى توثيق علاقاتها مع بقية المجتمعات الإسلامية[١].

وعندما تفككت حكومة دلهى الهندوسية المركزية فى القرن الرابع عشر، قامت فى البنغال أسرٌ إسلامية استقلت بالبلاد تقريباً.

وقد لعب (لورد مونتباتن) الحاكم الإنجليزى العام على هندستان بالتواطؤ مع الهندوس دوراً خطيراً فى تقسيم البنغال على الشكل الذى ذكرناه سابقاً.

وكان من الممكن أن تعلن البنغال الشرقية استقلالها عن الدولتين كما فعلت حيدر آباد بما يحقق مصلحتها أولاً وأخيراً، إلا أن الخديعة والمكر والأساليب الإلتوائية فى خداع المسلمين بشأن إمكانية قيام دولة باكستانية تضم إليها إقليم البنغال فى فترات لاحقة.

وفى ١٩٥٤ .م صدر تصريح عن أحد زعماء الباكستان من أعضاء حزب المؤتمر الوطنى أن أعداءهم الذين سعوا فى تقسيمها، وأنه سوف يبذل كل ما فى وسعه لإستقلال باكستان الشرقية[٢].

وفى هذا القول نستشم تلميحاً يدل على أن الزعماء فى الباكستان الشرقية كانوا غير راضين عن التقسيم، وأن ميولهم إلى الهند أقرب، لا إلى عمل باكستانى إسلامى وحدوى، لذلك اتجهت تلك الزعامات - مبكراً نحو الإستقلال عن الباكستان الغربية، وقد تحقق لهم مرادهم عام ١٩٧١ .م، وعندئذ وقعت الكارثة حيث زحفت جيوش الهند بقيادة (صهاينة اسرائيليين) ويهود مرتزقة فى ١٩٧١/١٢/٤ .م إلى باكستان الشرقية مع ما أسمته الهند (اللاجئين العسكريين) من الباكستان وإقليم البنغال الشرقى، ووقعت بالجيش الباكستانى الشرقى هزيمة قاسية، نتجت عنها آثارٌ مدوية، فقد قتل الجيش الهندى والمرتزقة الإسرائيليين (عشرة آلاف عالم مسلم) فَوْرَ حسْم المعركة مع الجيش الباكستانى لصالحهم، ثم قتلوا مائة ألف من طلبة المعاهد الإسلامية، وموظفى الدولة، وتم إيداع خمسين ألفاً من العلماء وأساتذة الجامعات فى السجون، وقتلوا أكثر من ربع مليون (٢٥٠,٠٠٠) من مسلمى الهند ممن هاجروا من الهند إلى باكستان قبل الحرب فراراً من اضطهاد الحكم الهندوسى، وسلب الجيش الهندى ما قيمته (٣٠) ثلاثين مليار روبية هندية من باكستان الشرقية التى سقطت من أموال الناس والدولة[٣].

---

(١) القاموس الإسلامى ص٣٧٣ - أ - أحمد عبدالله - بتصرف.

(٢) باكستان فى ماضيها وحاضرها ص٨٦ د. عبدالحميد البطريق.

(٣) ماساة بنكلاديش - بتصرف.

وعلى ذلك – لك كل الحق – فى أن تتخيل أشكال التعذيب التى صبها الجيش الهندى على المسلمين العزل فيما دُعى بعد ذلك بنجلاديش بدلاً من الباكستان الشرقية.

(و) إغتصاب المسلمين فى الهند

يمارس الهندوس حق التعبير الجهرى عن أحقادهم ضد الإسلام والمسلمين، بإفتعال الأزمات، وإنزال انكبات، ورميهم بالويلات، تشهد على ذلك مذابح الهندوس للمسلمين فى مساجدهم ومحال أعمالهم وبيوتهم، بما فى ذلك هدم مساجدهم وتدميرها، وإحراقها، ومن أشهر هذه الفظائع ما ارتُكِبَ ضد التحفة المعمارية فى زمانها (مسجد البابرى) الذى بناه « ميرباقى » أحد ضباط الملك بَابر حفيد مؤسس أكبر دولة إسلامية فى الهند فى عام ٩٣٥هـ (١٥٢٨ .م) تيمور لنك.

حيث بدأ الهندوس الأزمة ضد المسلمين بمؤامرة قذرة تهدف إلى وضْع تماثيل إلههم المزعوم (رام) فى المكان المخصص لوضوء المصلين فى جانب المسجد، بزعم أن إلههم وُلِدَ فى هذا المكان بعينه.

حدثت تلك الواقعة فى عهد الحاكم الشيعى (واجد على شاه) الذى لم يتحرك فيه ساكن، وقد تعاون مع الإنجليز فى كبت المسلمين وقمع ثورتهم، وعندما هبَ العلماء والمجاهدون لتطهير المسجد من الأصنام، قاومهم « شاه » بجنوده، وقضى عليهم. واستُشهِدوا جميعًا فى سبيل الله.

صارت تلك الحادثة منذ وقتها ودامت نواة للفتنة، وبذرة للصراع الذى اشتد فيما بعد بين المسلمين والهندوس، فصدرت قرارات الحكومة الهندية بإغلاق المسجد فى عام ١٩٥٢ .م، واستجابة لطلب الهندوس، ورضاءً لمطالبهم المتكررة، أو رضوخًا للضغوط الداخلية والخارجية، ومع الإنحياز المفضوح من السلطة هناك صدر فى السبت ٢٠ جماد أول ١٤٠٦هـ الموافق ١/٨/١٩٨٦م قراراً رسمياً بإعادة افتتاح المسجد ولكن هذه المرة للهندوس فقط كى يمارسوا فيه عاداتهم الممقوتة، وعباداتهم الضالة وطقوسهم البغيضة الشاذة.

هذا بخلاف ما أقدمت على فعله رئيسة وزراء الهند الأسبق (أنديرا غاندى) فور توليها أمور السلطة عام ٦٦ : ١٩٧٧م، حيث أعلنت عن برنامجها الوطنى الطموح لإقامة مجتمع هندوسى نموذجى يخلو من أى عنصر أجنبى، وأرست لذلك مشروعها الوطنى للقضاء على الجنس المسلم وتطهير البلاد منه، عن طريق حقن

رجال المسلمين بدم البغال، للحد من زيادة النسل المسلم، والقضاء على القدرة الإنجابية عند الرجال – وبذلك يمكن التخلص من ضداع المسلمين خلال فترة زمنية غير بعيدة فى مؤامرة دنيئة خسيسة لا تترك أثرًا جنائيًا يمكن أن يقلب العالم الحر عليها.

وقد ذكرنا فى كتابنا (المؤامرة الكبرى على العروبة والإسلام والإنسانية عبر مراحل التاريخ) ما تيسر لنا ذكره من معاناة المسلمين فى شرق وجنوب آسيا – وفى منطقة البلقان، وفى إفريقيا، وأوروبا، واستراليا، وأمريكا، وفيه كذلك قدمنا عرضًا وافيًا للتاريخ التآمرى على المسلمين فى شتى بقاع العالم منذ عصر إسرائيل (يعقوب عليه السلام) حتى وقتنا هذا.

وسنذكر لاحقًا إن شاء الله تعالى فى لقائنا هذا ما تيسر من صراع الحضارات فى بعض مناطق العالم حيث الصدام على أشده بين الأقليات المسلمة التى تدافع عن وجودها أمام قهر عبدة الطاغوت وهو ما يؤكد حقيقة أنه لا حوار إلا للدبابات فهى اللغة الرسمية عندما تتصارع الحضارات.

* * *

ثالثًا: (أ) أفغانستان – أمجاد وحضارة

جاء فى دائرة المعارف الإسلامية أن البلاد المعروفة الآن باسم أفغانستان لم تحمل هذا الإسم إلا منذ أواسط القرن الثامن عشر.

وهذا قول حسن يؤكد علية ما نراه عندما نستعرض تاريخ إيران وجغرافيتها حيث يبين لنا حقيقة أن هذه المنطقة لم تفصلها حدود سياسية عن إيران، كتلك التى تفصل بين الدولتين الآن، فالمقاطعات والأقاليم كانت تحمل أسماء مختلفة وكثيرة، كانت أفغانستان فى طليعتها وأهمها، الأمر الذى يبين أن تلك المقاطعات لم تُكوِّن وحدة سياسية واحدة، أو ترتبط برباط لغوى أو جنسى متفرد، ومن ثم فإن أفغانستان قد تعرضت عبر التاريخ كما تعرضت له إيران من نصر وهزائم، وكانت أكثر الديانات شيوعًا قبل الإسلام (الزرادشتية، والبوذية).

وقد سبق أن بينا كيف دخل الإسلام إلى أفغانستان، وذكرنا كذلك كيف أنها أخضعت إيران بعضًا من الوقت لسلطانها الذى امتد كذلك إلى الهند عبر أُسْرات وممالك إسلامية عديدة ولفترات مختلفة.

وقد قامت بريطانيا بمحاولات عديدة لاحتلال أفغانستان، وفشلت جميعها،

ومع شراهة المحاولات البريطانية، واسْتعار معاركها وحملاتها استعان الأمير (شير على) بجيرانه الروس ليرُدّ بهم زحفَ الإنجليز، فازدادت وتيرة المعارك، وضاعف الإنجليز من قسوتهم باستخدام آلاتهم الحربية الحديثة، واشتعلت النيران فى كابول التى استولت عليها بريطانيا، وفر الأمير إلى مزار شريف ومات هناك فى ١٨٧٩م وتولى بعده ابنه يعقوب خان الذى أقْضَ مضاجع الإنجليز، فأسروه، وأرسلوه إلى الهند، ولكن أخاه « سردار أيوب » قاد الأفغان بفكر منظم، وبمجهود جبار حتى تمكن من تحقيق انتصار جديد على بريطانيا فى معركة (ميوند) .

وقد شهدت العلاقات الأفغانية الإنجليزية تحسنًا ملحوظًا بعد أن آلت السلطة الأفغانية إلى « عبدالرحمن بن أفضل » المنتمى لفرع آخر من الأسرة الحاكمة، وقد أيدته بريطانيا نكاية فى فرع يعقوب الذى قاد الصراع ضدها .

وتقول المراجع أن عهد عبد الرحمن كان عهد تقوية السلطة المركزية، كما شهدت فترة حكمه هدوءاً نسبياً فى الصراع .

ثم خلفه الأمير « حبيب الله » ١٩٠١م وهو من أصحاب العقول المستنيرة، ومن أصحاب البصيرة، فاهتم بالتعليم، وبتحسين علاقاته بالجوار، غير أنه قُتل فى مؤامرة سنة ١٩١٩م، فخلفه ابنه أمان الله الذى لُقّب (نادرشاه) وتميّز عصره بأنه من أزهى عصور أفغانستان، حيث أعلنت بريطانيا عن إنهاء حمايتها لأفغانستان، بعد أن ذاقت الأمرّين، وتذوقت طعم الهزائم المتتالية على أيدى الأفغانيين، وقد أقامت أفغانستان علاقات دبلوماسية مع العديد من دول العالم، وحققت كذلك إصلاحات كبيرة فى مجالات حيوية كالتعليم، والتشريع، والمالية، والإدارة .

ومن أشهر الأحداث التى وقعت فى عصره استيلاء الروس على بخارى، واحتلالهم الكامل لها عام ١٩٢٣م بعد أن نقضت روسيا معاهدة الصداقة الموقعة بين البلدين عام ١٩٢١م، وربما ثمناً لمساعدتهم الأفغان ضد الإنجليز فى وقت سابق، وانغمث أمان الله فى حياة اللهو والترف، وانصرف بعيداً عن الحفاظ على استقلال بلاده، وسافر إلى فرنسا، وهناك مارس أعمالاً لا تتفق وتعاليم دينه، وبعد عودته أصدر أوامره بإجبار علماء الدين على ارتداء ملابس الفرنجة، وأجبر النساء على التبرج، فثارت عليه ثورة الثائرين فى ١٩٢٩م ففر خارج البلاد، وتنازل عن الحكم لأخيه الذى لم يتمكن من الصمود أمام الثورة فسقطت « كابول » فى يد جاهل قاطع طريق هو (باتشه سقا) .

آنئذ تمكن « محمد نادر شاه » سفير بلاده فى باريس من العودة إلى أفغانستان وقاد جيشًا من أتباعه، استرد به ملكه، ونودى به ملكًا فى ١٩٢٩م، ولم يلبس أن أغتيل فى ١٩٣٣م فخلفه ابنه « محمد ظاهر شاه » الذى ظل ملكًا على بلاده حتى

أطاح به ابن عمه « محمد داوود » فى ١٧ / ٦ / ١٩٧٣م فى انقلاب رسمى تم فيه إلغاء الملكية، وإعلان الجمهورية، وأعلن داوود نفسه رئيساً للجمهورية ، وغادر الملك البلاد إلى أوروبا ليعيش فى المنفى.

وبدأت أفغانستان فى دخول مرحلة جديدة من الفوضى السياسية بإعلان الجمهورية والعمالة للشيوعية.

* * *

(ب) الزحف الأحمر صوب الجنوب الأخضر

ارتبط الإقتصاد الأفغانى بالإقتصاد السوفيتى ارتباطًا وثيقًا من عصر الملك « محمد ظاهر شاه » عندما وقع البلدان اتفاقية تجارية سنة ١٩٥٠م، اعتمدت بعدها أفغانستان على الإقتصاد السوفيتى أشد الإعتماد، وكانت هذه هى البذرة الأولى فى تغيير السياسة الأفغانية التى تأثرت كثيراً بالنفوذ السوفيتى، مما نتج عنه ظهور جماعات فكرية جديدة، صار لها نشاطًا ملحوظًا، وأخذ يقوى شيئًا فشيئًا على يد المجموعات اليسارية (الماركسية) التى أصدرت لها صحيفة يسارية بحتة فى عام ١٩٦٦.م، وقد أسسها (نور محمد تراقى) وحفيظ الله أمين لتكون لسان حال حزب (خلق)[١].

وقد دخلت الشيوعية من أوسع الأبواب التى هيأها النظام الجمهورى الذى خلقه محمد داوود ابن الأسرة المالكة، والذى لم يعمق نظام الحكم الديمقراطى ولم يعمل له.

وفى إبريل ١٩٧٨م قاد (نور تراقى، وحفيظ الله أمين) انقلابًا عسكريًا ضد محمد داود فأصبح الأول رئيساً للدولة، والثانى للوزراء، واتجه قادة الإنقلاب مباشرة إلى تعميق جذور الشيوعية فى هذا البلد الإسلامى السنى شديد التدين الذى حكم شبه القارة الهندية، وخضعت له بلاد الفُرس والهند.

وهكذا تحاورت الدبابات، وتلاسنت المدافع، لا فى حوار للحضارات كما يقولون بل فى واحدة من صدام مروع للديانات، حيث تعانق الأمريكيون، والسوفييت سراً والتقيا فى حرام لكسر شوكة هذا الشعب المسلم صاحب الحضارة، والتاريخ، والبطولات والأمجاد، ناهيك عما تُضمره الشيوعية من أحقاد ومكاره جمة للإسلام وأتباعه، لأنهم يرونه خطراً ريدياكيليا يهدد وجودهم، ويحارب معتقداتهم، لذلك قدّم السوفييت كافة أشكال المعونات والإمدادات للقيادة الأفغانية الجديدة

(١) الشعب.

العميلة لتخلصهم من صداع الإسلاميين الذين يقدمون العون للدول الإسلامية المستكينة فى البطن السوفيتى، وجنوبه (البطن الضعيف).

فاتجه تراقى بكل قوته لليسار، وقام بأكبر عملية تصفية فى تاريخ بلاده لأبناء الأسرة الحاكمة، والعاملين معهم من الفنيين، والمثقفين، والعلماء، تماماً كما تفعل القوات الأمريكية الآن فى العراق وما تمارسه ضد حزب البعث والجيش والشرطة ورجال الإعلام والمنتمين إلى الرئيس العراقى (صدام حسين) ونظامه – وهم جميعاً ضحايا المؤامرة المعاصرة التى لا تستهدف الإطاحة بالرئيس العراقى فحسب، بل تستهدف الوجود العراقى ذاته[1].

وقد انشق رئيس حزب (بارتشام) – الراية – « بابراك كارمل » المشارك فى الإئتلاف الحاكم، وهاجم سياسة حزب الشعب (خلق) مجاهرة علنية فَنَاصَبَتْهُ الدولة العداء – ففرّ هارباً إلى أوروبا الشرقية، وجردته الحكومة من جنسيته.

وقد استمر حزب بارتشام فى السير على سياسة زعيمه اللاجئ – فى مواجهة الحكومة – فساعد ذلك فى ظهور تيار آخر أشد معارضة، وأحكم تنظيماً، وأعظم إيماناً – وهو – تيار الجماعات الإسلامية التى يطيب لها القتال تحت راية (لا إله إلا الله) فى مواجهة النظام الأحمر ومحاربة الفساد، من أهمها:

– الجمعية الإسلامية : بزعامة الشيخ إبراهيم المجددى
– الثورة الإسلامية: بقيادة الشيخ ابن محمدى
– الجماعة الإسلامية الأفغانية: بزعامة برهان الدين ربانى
– جماعة مجاهدى الثورة الإسلامية: بزعامة سيد أحمد جيلانى[2]

بالإضافة إلى جبهة وطنية اسمها (الجبهة الوطنية لتحرير أفغانستان)، لم يستطع تراقى أن يصمد طويلاً أمام الجماعات الإسلامية، والمنشقين عليه من الإئتلاف الحاكم، وقد وحَّدَ بينهم وحدة الهدف، وإن لم يجتمعوا فى وحدة الصف، فألقى بنفسه فى أحضان السوفييت. علّهُ – يجدُ بُدّاً أو خلاصاً مِمّا يواجهه من الهجوم اليسارى، والإسلامى المتزامن، فوجد نفسه مضطراً إلى توقيع معاهدة صداقة، ودفاع مشترك مع السوفييت عام ١٩٧٨م، اعتقاداً منه أنها طوق النجاة للخلاص من خضم المعترك المتلاطمة أمواجه، غير أنه كما قال المؤرخون: « وقع على اتفاق يَنُمُّ على استسلام واضح »، وقد طلب المزيد من العون، والإمدادات من أصدقائه الجدد فى

---

(١) انظر كتابنا: وحيد القرن ورياح التغيير.
(٢) التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ص ٢٣٧ ج٨.

موسكو لدحر الثوار الذين تطورت أحداثهم إلى ثورات عارمة ومصادمات دامية فى معارك طاحنة خاصة مع انضمام فرق كاملة من الجيش الأفغانى إلى القوى الوطنية التى اجتمعت هذه المرة فى وحدة الهدف، ووحدة الصف.

حاول رئيس الوزراء قمع الحركة الوطنية، وإرهاب الثوار، فاعتقل الآلاف من الأفغانيين، وزج بهم فى السجون، واغتال كثيراً من المناضلين، والقيادات الثورية.

وقد تحدثت أنباء عن خلافات حادة بين رئيس الدولة (تراقى) ورئيس وزرائه (حفيظ الله) انتهى فعليًا بقيام الأخير بانقلاب مسلح فى ٩ / ١٩٧٩ .م قُتِل خلاله « تراقى »، وبعض وزراءه، وجمعٌ من أنصاره، ونصّب حفيظ الله أمين نفسه رئيساً للجمهورية.

وقد أكدت الأحداث على أن الإنقلاب الأخير، وقع بتحريض من قوى خارجية لم يتم الكشف عنها حتى الآن، وهى تريد إحراج السوفييت فى أفغانستان، وتفجير أزمة حرب داخلية، بين القيادات الإسلامية التى تقاتل للخلاص من زبانية الغزو الأحمر، وربما خلق قيادة أفغانية عميلة تعمل فى خدمة القوى الخارجية ولمصالحها غير المباشرة، والتى فضحتها الأحداث بعد ذلك وكشفت عنها.

وهكذا ألقت الخلافات بين القيادات اليسارية بظلالها على الحركات الوطنية التى تزايدت بشكل ملحوظ، زلزل الأرض تحت أقدام حفيظ الله أمين، حتى فقد ثقته فيمن حوله وفى مقدمتهم الشيوعيين، فأعدم الآلاف، وسجن عشرات الآلاف من معارضيه، ونجح بعد ذلك إلى حد بعيد فى قمع الحركات الثورية، فازداد بالتّالى النفوذ السوفيتى فى البلاد، ونقلت الحكومية السوفيتية إلى أفغانستان خيرة خبرائها وجنودها لمساعدة النظام الماركسى هناك.

إلا أن انقلاب حفيظ الله لم يلبى طموحات السوفييت فى أفغانستان، ولم يف بمطالبهم، لذلك لم يقنعوا به ولا بنتائجه، فَقررُوا النزول مباشرة إلى البلاد، فقاموا بنقل عدد هائل من جنودهم بمعداتهم العسكرية إلى العاصمة كابول، وفى ٢٧ / ١٢ / ١٩٧٩م، اكتظت قاعدة (باجرام) الجوية بالجنود الروس، وفى اليوم ذاته قام رجال المظلات السوفيتية وقوات الإنزال الجوى بالهجوم على القصر الرئاسى لحفيظ الله، ومحطة الإذاعة، وأعلنت الإذاعة السوفيتية فى موسكو أن انقلاباً حدث فى أفغانستان، أطاح بحفيظ الله أمين، وأن قادة الإنقلاب الجدد نفذوا فيه حكماً بالإعدام.

استدعت موسكو عميلها « بابراك كارميل » الهارب فى أوروبا الشرقية، ونصّبته رئيساً لأفغانستان.

ثم أعلن السوفييت أنهم دخلوا أفغانستان استجابة لطلب الحكومة الجديدة بزعامة رئيس الدولة كارمل.

ومع نهاية ديسمبر ٧٩م، سيطرت القُوّات السوفيتية على كابول العاصمة وبعض المدن الإستراتيجية الأخرى، وقد عرضنا فى إصدارنا الأسبق (المؤامرة الكبرى) للخروج السوفيتى المهين بعد أن خاض فى الوحل الأفغانى.

ولقد أناب السوفييت أنفسهم عن الأمريكيين فى تدمير أفغانستان وإحراق كابول دون أن يدروا أنهم هم أنفسهم الطُعم المدسوس للصيد الثمين، وهو الوجود الأمريكى الدائم والصريح فى آسيا الوسطى بعد هذا المدد الهائل والدعم الكبير الذى قدمه الأمريكيون للمسلمين فى حربهم الضروس ضد الروس حتى خرج الدب السوفيتى ذليلاً جريحًا من الوحل الأفغانى، وما هى غير سنوات قليلة حتى بدأ التدفق الأمريكى العلنى على الأراضى الأفغانية باعتبارها الهدف الأول فى الاستراتيجية الأمريكية الاستعمارية الحديثة للسيطرة على العالم، والتى اتخذت لها أمريكا ذريعة اسمها القضاء على الإرهاب، ولعل أهم أهداف الحملة الأمريكية فيما أسْمَتْه وروجت له، وسوقته وابتلعه العالم من الدعاوى والأباطيل والأكاذيب القائلة بالقضاء على الإرهاب الدولى – لا يستهدف سوى المسلمين شعبًا وعقيدة، فالربط بين الإرهاب والمسلمين أصبح الآن (وسيلة وهدفًا)، وسيلة للهيمنة والنفوذ، وهدفًا للقضاء على المسلمين ومحاربة الدين الإسلامى ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

* * *

رابعًا: نماذج من الشرق الأقصى

ذكرنا أن الإسلام دخل إلى هذه المنطقة من العالم، وانتشر هناك عبر رجالات من العرب، ومن أبناء الذين شرح الله لهم صدورهم للإسلام من أبناء تلك المناطق، وكذلك عن طريق التجار الذين اعتنقوا الدين الإسلامى أثناء رحلاتهم إلى البلاد العربية، وقد عادوا إلى بلادهم هادين مهديين.

وخَطا الإسلام خطوات واسعة على تلك الأراضى، خاصة فى المناطق الساحلية الزاخرَة بالحركة الملاحية الواسعة، وبمرور الزمن كثُرت الأُسر الإسلامية، وانتشرت بعد زواج المسلمين العرب من الإندونيسيات، ومن بنات جزر الملايو، الأمر الذى زاد من اعتناق الكثير من أُسَرِ تلك البلدان للإسلام لِمَا وجدوه من صدق، وأمانة وإخلاص من المسلمين.

انتشر الإسلام وتأكد فى نفوس أتباعه الذين زاد إقبالهم عليه حتى أصبح للمسلمين شأن كبير، وأضحوا قوة سياسية إلى جانب قوتهم الروحية، حتى سقطت إمبراطورية «ماجابيت» ذات التقاليد الغريبة على السكان. أمام الزحف الإسلامى وسرعان ما تكونت الممالك الإسلامية عظيمة الشأن، واسعة المدى، ذائعة الصيت فى تلك الجزر من أشهرها:

مملكة ملقا	١٤٠٠ : ١٥١١م
مملكة آتشه	١٥١٤ : ١٩٠٤م
مملكة ديماك	١٥١٢ : ١٥٥٢م
مملكة بنتان	١٥٥٢ : ١٦٨٤م
مملكة غووا	(مكسّر) : ١٦٦٧م

بالإضافة إلى ممالك شبه جزيرة الملايو عقب سقوط «ملقا».

لم تمهل الصليبية الممالك الإسلامية فى تلك المنطقة الإسلامية من العالم عند مطلع حياتها، وبدايات عهدها، حيث جاء الزحف الصليبى الأوروبى الغاشم ليقتحم عليهم ديارهم، ويقضى على معنوياتهم، ويدمر اقتصادياتهم، ويحطم قواهم، ويطيح بسلطانهم وممالكهم.

وخاض المسلمون فى أندونيسيا والملايو حروبًا مريرة ضد الزحف الأوروبى الذى جاء ليسلب وينهب، ويحرق ويدمر، فيحارب الإسلام ويبشر بالصليبية التى عرفت طريقها نحو الشرق، وخاض المسلمون حروبًا كبيرة، هى امتداد للحروب الصليبية التى تعددت فى الشرق فى غير واحدة من المرات، وفى غير واحد من الميادين.

ونذكر فيما يلى بعضًا من النتائج والمآسى التى تُبين ببساطة، وتشرح بسلاسة حقيقة صراع الحضارات منذ نشأته الأولى، أو بالأدق تعبيرًا صراع الديانات وهى التى تؤكد على أن الصراعات منذ نشأتها وبدايتها، والحروب الهالكة للحرث والنسل منذ فجر التاريخ، إنما هى بسبب العقيدة وبالأحرى اختلاف العقائدية، وتصادم المعتقدين، وما قُدِّر لهذا الإختلاف أن يتآلف أو يتوافق، وما كان له أن يتحاور أو يتعانق لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: ١١٨].

إنما شاءت القدرة الإلهية أن تُبقى على الإختلاف لعلة فى علم الله تعالى، أحسبها ما يبينها قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

وفيه ما يُؤكد على أن الصراعات، والصدامات هى ديناميكية الحياة، وأساس

أيديولوچياتها ، والشاهد أن ولدى آدم (قابيل، هابيل) عندما تنافسا على حب اختهما لأجل الفوز بالزواج منها، فأراد هابيل أن يستأثر بها على أخيه، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمَرَهُما أن يُقربا قُرْبانًا، وذهب آدم ليحج إلى مكة، واستحفظ السموات على بَنيه فأبَيْن، والأرضين والجبال فأبين، فتقبل قابيل بحفظ ذلك، فلما ذهبا قَرَّبا قُربانهُما، فقرب هابيل جذعة سمينة، وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من ردئ زرعه، فنزلت نارٌ فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنّك حتى لا تنكح أختى، فقال: إنما يتقبل الله من المتقين...

وذكر أبو جعفر الباقر أن آدم كان مُباشراً لتقربهما القربان والتقبل من هابيل دون قابيل فقال قابيل لآدم: إنما تُقبِّل منه لأنك دَعوت له ولم تدعُ لى، وتوعد أخاه فيما بينه وبَيْنَه، فلما كان ذات ليلة أبطأ «هابيل» فى الرعى، فبعث آدم أخاه قابيل لينظر ما أبطأ به، فلما ذهب إذا هو به، فقال له تُقبِّل منك ولم يُتقبَل منى، فقال: إنما يتقبل الله من المتقين، فغضب قابيل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله، وقيل إنه إنما قتله بصخرة رماها على رأسه وهو نائم فشدَخته، وقيل: بل خنقه خنقا وعضه عضا شديداً كما تفعل السباع، والله أعلم(١).

وقوله لما توعده بالقتل قال: ﴿ **لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٨] دل على خُلُق حسن، وخوف من الله تعالى، وخشية منْه، وتورع أن يُقابل أخاه بالسوء الذي أراد منه أخوه مثله، ودل كذلك على وعى وعلم وحضارة مبكرة لما قال: ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ** ﴾ – أى أن تتحمل إثم قتلى مع مالكَ من الآثام المتقدمة قبل ذلك.

غير أن هابيل لم يعرف لله طريقًا ولا للخلق مسلكًا ولا للدّم حرمة ﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ** ﴾ [المائدة: ٣٠] فأصبح وقد باء بخسران وبهتان لما قال تعالى: ﴿ **فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾، وهذا قضاء الله له، وقدره عليه، بعد أن بات أول قاتل على وجه الأرض ليكون الخُسران حُكْمًا عامًا ينسحب على كل القتلة عن غير الحق، وكذلك على عموم المفسدين فى الأرض.

وذلك هو مثال الأعمى والبصير، والراقى والسافل، ﴿ **وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ**

---

(١) البداية والنهاية ج١ ص١٠٨.

﴿خَذُولاً﴾ [الفرقان: ٢٩] لقد خذل الشيطان هابيل فاضله وأزله، كما أزل أبويه من قبل لقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة: ٣٦] غير أن آدم ندم على فعلته وطلب من الله العفو والصفح والمغفرة، فوقع ما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] أى أن الله تعالى علمه على لسان جبريل عليه السلام؛ كيف تكون التوبة، وشرع منهجها وبين أسلوبها كما بين تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨].

ذلك إذا هو السلوك الإنسانى منذ فجر التاريخ، وتلك هى مسالكه (الصدام، الصراع، النزال، اللقاء، القتال، والإقتتال).

وتمثل النجاة من هذه فوزاً وسلامة وهى العقيدة الخالصة التى رأسها الإيمان بالله وهو الحق، أما معايشتها فهى هلاك وبهتان وخسران ومردها إلى زيف العقيدة. وهو الباطل.

وعلى ذلك يكون الصحيح أن صراع الديانات ثابت ثبوت النور والظلام، والحق والباطل، فى كونه صراعًا متجددًا لن يتحاور يومًا مّا على الرغم من الصيحات، والدعوات التى تنطلق من هُنا وهناك مطالبة بما يسمى (حوار الحضارات). وما هى إلاَّ صيحات رنانة وجُملٍ معسولة لا تهدف إلا للتسلل إلى بطن الأمة الإسلامية، وعقلها مستغلين فى ذلك حالة الأمة المتحللة التى هى عليها الآن، بل ومنذ قرون سابقة، ومَعيّة ذلك من الفقر، والعجز، والتخلف، والأزمات الاقتصادية الطاحنة، والأزمات الأخلاقية المدمرة، والإعراض عن دين الله – إلا من رحم ربى، سبيلهم إلى ذلك ما حازت أيديهم من إمكانيّات هائلة وطاقات جبارة، ورؤوس أموال فلكية يكفى بعضها للقضاء على مشاكل العالم كله، وجميعها رؤوس أموال منهوبة، أو مسلوبة، أو مهاجرة (سبق ذكره).

ولا يزال الصراع على أشده، والصدام محتدمًا على أوُجّه بين أتباع الديانات وهو ما جعلناه عنوانًا لهذا المصنف (صراع الحضارات)، الذى لا يعرف حِواراً إلا حوار الدبابات، ولا للتخاطب لغة غير أزيز الطائرات – فهو إذا الصراع الذى لا يعرف طريقًا إلى المهادنة أو الموائمة، أو المسالمة، إلا الاستمرار على درب الحملة المسعورة، والهجمة الشرسة على الإسلام وأهله فى زوايا العالم الأربع.

ونسوق فيما يلى بعضًا من الأحداث الجسام، والمآسى الأليمة التى نزلت بالمسلمين فى الجنوب الشرقى الأسيوى منذ بدايات الزحف الصليبى على تلك البقعة الإسلامية النائية، على سبيل التدليل على ما قدمنا – ومنها:

(أ) مأساة ملقا

بعد هزيمة الأسطول المصرى مع بعض أساطيل البحر المتوسط بالإضافة إلى الأسطول الهندى فى موقعة (ديو) سنة ١٥٠٩ .م أمام الأسطول البرتغالى، قام هذا الأسطول بزيارة لموانئ مملكة مقا بحجة التجارة معها، وسرعان ما كشف البرتغاليون عن نياتهم الحقيقية، وتحرش أسطولهم الحربى بأهل ملقا، ووقعت معارك متقطعة ودامية حتى تمكنت البرتغال من السيطرة على ملقا سنة ١٥١١م.

وقد جاء فى كتاب (GlamPSES of Malaysian-History/ p.377) ما نصه: «وبدأت معارك انتهت بسقوط الدولة المسلمة، وسيطرت البرتغال عليها فى أغسطس ١٥١١م، وفُتح الباب لصراع طويل بين الشرق والغرب فى هذه البقاع».

«وقد دافع المسلمون عن ملقا بحرارة وحماسة، ضدّ نيران المعتدى، وأبلوا بلاءً حسنًا فى الدفاع الذى ظل رِدحًا طويلاً، ولكن الأسلحة الحديثة، ومؤامرات الكفار والدخلاء من هندوكيين وغيرهم أدت فى النهاية إلى هزيمة الملايويين، وفتح المدينة عُنوة، ثم سمح البرتغاليون لمن ساعدوهم من أهل الكفر أن يخرجوا ببضائعهم، وبثرواتهم فى أمن وسلام، ولما لم يبق بالمدينة إلا أهلها من بنى الإسلام، صدرت الأوامر بإطلاق النار على جميع من فى الشوارع دون استثناء للأطفال والنساء، وأُذن للمعتدين بسلب المدينة ونهبها، وحلت بالمسلمين نكبات، وويلات يعجز القلم عن وصفها، ثم صدرت الأوامر بهدم المساجد، ونبش قُبُور السلاطين لتُبنى من أنقاضها كنائس الفاتحين، وقلاعهم، فكانت حملة صليبية قاسية، وعقب ذلك بدأ إكراه الناس على الدخول فى المسيحية، وإبادة من لا يستجيب لدعوة المستعمر»[١].

ورب ضارة نافعة: فقد كان سقوط ملقا على يد دولة مسيحية دافعًا قويًا للسكان فى الملايو والجزر الإندونيسية نحو اعتناق الدين الإسلامى ، من أجل إقامة ممالك إسلامية متحدة للتصدى للغزو الصليبى، وحَمْلِ أعباء الصراع ضد الغرب وأعوانهم من الهندوكيين.

(ب) مملكة آتشة

وهى المنطقة الواقعة شمال سومطرة، وقد وقفت تلك المملكة بصلابة وتصدت بقوة للدفاع عن نفسها أمام الزحف الهولندى عليها خاصة بعد أن باتت السيادة الأوروبية على أندونيسيا للهولنديين.

---

(١) الملايو وصف وانطباعات ص٨٥ د. محمد عبدالرؤوف.

ويذكر التاريخ أن الجيوش الهولندية لم تتمكن من تحقيق نصر نهائى سريع حاسم على هذه المملكة التى طال كفاحها وتعاظم استبسالها حتى مطلع القرن العشرين، وذلك بفضل العلماء المسلمين الذين نجحوا إلى حد بعيد فى قيادة الجماهير للدفاع عن دينهم وأنفسهم ووطنهم.

وقد لجأت هولندا إلى حيلة ماكرة عن طريق إعادة تشكيل التركيبة الثقافية فى أبناء إندونيسيا، وخاصة أبناء السلاطين، حيث أرسلتهم فى بعثات تعليمية إلى هولندا لتدريبهم على حياة المدنية الغربية الزائفة المنحلة، ولتربيتهم ثقافياً هناك، ليكونوا سفراء لها ولثقافاتها عند عودتهم إلى ديارهم.

غير أن هذه السياسة كلّفت هولندا كثيراً ولم تؤت لها من ثمارها القليل، حيث انضمت آتشهْ إلى ركب المجاهدين الذى ناضلوا طويلاً، وكافحوا كثيراً، وبعناد شديد دام حتى مطلع القرن العشرين حتى تحقق النصر لأندونيسيا.

وقد أفادتنا المخطوطات وطالعتنا الصفحات بأن الغرب قد عانى أشد المعاناة وهو يواجه آتشه، حيث واجه فيها أبطالاً حملوا راية البلاد بعزم وصبر وكفاءة ممتازة، وقد أحس الغرب أن انتصاره على هذه القوة بالوسائل العسكرية عسير، ومن هنا لجأ إلى وسائل أخرى ساعدته فى تحقيق النصر، .. منها إلا جانب إعادة تشكيل التركيبة الثقافية للأندونيسيين، أن عمل على توسيع الهُوّة بين المتنافسين فى الداخل، ونشر الفتن والدسائس التى تثير بعض الجماعات على الأخرى، وبذلك استطاعت هولندا أن تنتصر على آتشه بعد صراع استمر إحدى وثلاثين عاماً منذ عام ١٨٧٣ : ١٩٠٤م[١].

(جـ) الشيوعية فى أندونيسيا

عقد الإندونيسيون عزمهم التام على الإستقلال التام بغض الطرف عن الضحايا فثاروا فى وجه الإستعمار الهولندى ثورة عارمة، نتجت عنها خسائر فادحة من الجانبين، وعلى إثرها بدأت المفاوضات بين الثوار والمستعمرين، وبموجبها تم التوصل إلى بعض الإتفاقات وعقد المعاهدات التى انتهت إلى الاستقلال التام، ودحر الاستعمار الهولندى.

حاولت هولندا التنصل من معاهداتها، والتنكر لاتفاقاتها، ولكنها لم تفلح فى مصادرة إرادة الشعب الإندونيسى الساعى إلى الحرية المتّجه نحو الكرامة، المُدافع عن وطنه بحزم وحسم، فخضعت مُرغَمَةً عند نهاية المطاف خاصة مع اتجاه دول الغرب فى

---

(١) تاريخ الملايو العظمى ج١ ص١٠٥ – عبدالله عباس ناستيوم.

التصدى لمحاولات النفوذ الشيوعى المنتصر بعد الحرب العالمية، الأمر الذى نتج عنه وقوف المستعمر الهولندى وحيداً أمام الثورة الإندونيسية، فاعترفت هولندا باستقلال أندونيسيا فى ٢٩/١٠/١٩٤٩م، لكنه كان استقلالاً غير مكتمل نظراً لرفض هولندا الإعتراف باستقلال أندونيسيا إلا فى إطار قيام اتحاد (إندونيسى - هولندى) وقد قبله الإندونيسيون كخطوة أولى نحو التحرر - رغم إيمانهم بأنه اتحاد غير طبيعى.

ثم أعلن الزعماء الإندونيسيون حل هذا الاتحاد، والإستقلال التام فى ١٠/٨/١٩٥٤م[١] وقد لعب المسلمون فى هذا البلد متعدد الأعراق، مختلف الأهواء دوراً عظيماً، وقدموا أجلّ التضحيات عن إيمان ويقين، وضربوا أروع الأمثلة فى التصدى لكل أشكال الإستعمار الأوروبى والأسيوى الذى نزل على أرضهم، فقد وقفوا أمام البرتغال، وهولندا، وإنجلترا، واليابان، ثم الحلفاء، وقدم المسلمون أروع صور البطولات، وأعظم مبالغ التضحيات فى صراعهم ضد الشيوعية أثناء حكم «سوكارنو» فى الزمن القريب إيماناً منهم «بلا إله إلا الله» التى فتّتت الصخر، ولان بها الحديد، وأذابت الموانع، لأن الإسلام هو محور الإرتكاز الذى يتجمع حوله الراغبون فى التحرر المناضلون فى سبيله حتى يتحقق لهم النصر.

وقد ساهمت الدول الإسلامية مساهمة فعالة فى دعم الثوار المطالبين بالإستقلال، حيث رفضت الباكستان مرور أى قوات هولندية، أو تقديم أية تسهيلات لهولندا عبر الأراضى الباكستانية.

كما قدمت الدول العربية والإسلامية دعماً مادياً ومعنوياً هائلاً للشعب الإندونيسى ذات الأغلبية المسلمة وفى طليعتهم العظيمة «مصر» التى كانت سباقة إلى الإعتراف باستقلال أندونيسيا، وأرسلت مندوبها إلى هناك ليصبح أول سفير تتسلم الدولة الجديدة أوراق اعتماده فى «جوكجا كارتا»[٢] عاصمة الجمهورية.

وقد برزت عدة أحزاب على الساحة السياسية فى عهد الاستقلال لتولى مهام الإدارة السياسية، والتنظيمية، والإدارية فى البلاد من أهمها:

* الحزب الإسلامى (الماشومى) الذى يُعد امتداداً لما كان يعرف قَبْل الإستقلال (مجلس شورى مسلمى أندونيسيا) وهو أقوى الأحزاب وأشهرها، والذى اضطلع بدور كبير قبل الإستقلال، واستمر كذلك فيما بعد.

* حزب نهضة العلماء.

---

(١) التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج٨ ص٥٣٤.

(٢) تعرف الآن باسم (جاكرتا).

* بعض الأحزاب المسيحية.
* الحزب الشيوعى الإندونيسى.

وجدير بالذكر أن نقرر ههنا أن الحزب الشيوعى الإندونيسى هو فى الحقيقة امتداد لحزب شيوعى بدأ فى عهد الإستعمار الهولندى، بتأييد هولندا وتخطيطها، وسبب ذلك أن الاستعمار الهولندى لاحظ إقبال الناس على الإسلام وحماستهم لهذا الدين، واهتمامهم بالعلماء والدعاة، وناصح المستشارون حكومتهم بأن الوسيلة الوحيدة لتُقابل حماس الإندونيسيين للإسلام هى بذر الشيوعية بينهم، والحديث عن حق الشعوب فى التطور، وإشاعة الحركات الهدامة، والشكوك، وإثارة الجدل حول الخلافات المذهبية، وغير ذلك من الأمور.

ومن أبرز ما قدمه المستشارون الهولنديون إبراز التيار القومى فى مواجهة التيار الدينى الذى قد يقود إلى أن تفقد إندونيسيا هويتها، وحتى لا تندرج وتنصاع فى الخلافة الإسلامية التركية التى كانت موجودة آنذاك.

وتأييداً لذلك لم تقنع السلطات الهولندية بالأفكار، وإنما استقدمت بعض الشيوعيين الهولنديين لتكوين تجمع شيوعى فى إندونيسيا، وقدمت لهم السلطات الهولندية تسهيلات واسعة، وبدأ بذلك الحزب الشيوعى[1]، والذى يعد من أشهر قادته:

الرجل الأحمر

أحمد سوكارنو قائد الكفاح ضد الإستعمار اليابانى فى أندونيسيا، وقد اضطر هذا الإستعمار للرحيل عقب هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية، ومن ثم فقد حاولت هولندا الوقوف من جديد على صدر البلاد بعد رحيل اليابان، وأطماعها فى أندونيسيا بعد تخلى الحلفاء عنها كما ذكرنا من قبل.

وكانت الحكومة اليابانية تعمل على الإبقاء على علاقات جيدة مع أندونيسيا بعد استقلالها حتى لا تقع تارة أخرى تحت النفوذ الأوروبى، وقد دعا الحاكم العسكرى اليابانى العام فى منطقة جنوب شرق أسيا فترة الإمبراطورية اليابانية، كان قد دعا زعيمى أندونيسيا (أحمد سوكارنو، ومحمد حِتّى) لمقابلته، وقد هنأهما بإعلان الإستقلال الذى وقعه الزعيمان.

وبإجماع الآراء فى اللجنة التمهيدية لإستقلال إندونيسيا تم الإتفاق على تعيين سوكارنو رئيساً للدولة، ومحمد حِتّى نائباً له.

---

(١) صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصرة ص٤٤. محمد أسَد شهاب.

وكالعادة فى الدول الإسلامية التى لديها موروث كبير من صنائع الإستعمار وفتنه ودسائسه، شب خلاف كبير، وصل إلى حد الصراع بين سوكارنو ونائبه، بسبب إصرار سوكارنو على التنكر للحزب الإسلامى الكبير (الماشومى)، ولم يعترف للحزب الكبير بمكانته، وشعر شعوراً خاصاً بأن نجاح الإسلاميين ضياعاً له هو شخصياً، وقد طلب إلى قادة الحزب التنازل عن بعض مبادئه، وأفكاره، وبرامجه، وسياسته.

رفض هؤلاء القادة التسليم لمطالب سوكارنو، وتسليم زمام الأمور إليه، تفادياً لحكم الفرد، والديكتاتورية، والتسلط، وامتد الصراع وتنوع ودام بضعاً من السنين، وانتقاماً من الإسلاميين اجتهد سوكارنو فى سبيل استمالة الحزب الوطنى الإندونيسى وهو الحزب الذى يتبنى الأفكار العَلمانيَة والقومية كتيار مناهض، ومقابل للتيار الإسلامى (حزب الماشومى)، وليستَعْمله لضرب الحزب وقياداته، واستمر الخلاف، واحتدم الصراع خاصة أن الحزب الوطنى لم يكن يتمتع بالقوة اللازمة التى تمكن سوكارنو من إقامة الحكم «المطلق» فلجأ إلى الحزب الشيوعى، وأحزاب الأقليات وحقق بهم ولبعض الوقت نصراً مؤقتاً، وقد أسند سوكارنو إلى (أمير شريف الدين) أحد أقطاب الشيوعية فى أندونيسيا تشكيل الوزارة، فألّفها – واحتفظ سوكارنو فيها لنفسه بحقيبة الدفاع ليضمن ولاء الجيش، واستأثر كذلك بمنصب رئيس الوزراء إلى جانب كونه رئيساً للجمهورية، واستمرَّ هذا الوضع من يونيو ١٩٤٧م حتى مطلع يناير ١٩٤٨م، حيث ثارت الجماهير والصحافة، فأصدر نائب رئيس الجمهورية محمد حتّى قراراً بحل هذه الوزارة فوراً، وشكل بنفسه وزارة جديدة تولى هو رئاستها، ورفع «حتّى» توصيات معينة لرئيس الجمهورية الذى بدوره رفضها، وأصدر قرارات جديدة لم يوافق عليها نائبه، وأصبح الصراع على أشُده، وازدادت حدة التوترات بينهما حتّى وصلت إلى الحد الذى أدى إلى استقالة محمد حتّى من منصبه كرئيس للوزراء، وكنائب لرئيس الجمهورية فى ديسمبر ١٩٥٦م.

وعلى الرغم من هذه الإستقالة الجماعية، ورغم انفراد سوكارنو بالسلطة إلاّ أن الشيوعية فشلت فى نيل مأربها بحكم البلاد، فاتجه قادتها إلى وتيرة الأيديولوچية الشيوعية رأس كل كبيرة (المؤامرات السرية) التى مكنتهم بعد وقت قليل من إثارة المشاكل، وإرهاب الناس، وقتل الأبرياء فى غير مرة.

ففى صبيحة ١٩/٩/١٩٤٨م، وقعت أحداث جسام فى مدينة (ماديون) – إحدى مدن مقاطعة جاوة الشرقية، وهى المركز الرئيسى للنشاط الشيوعى فى البلاد حيث قام الشيوعيون بعمل مدروس ومنظم، وقد تم إعداده جيداً، واتُخِذَت لأجله

قرارات خطيرة، كان فى طليعتها استيلاء الشيوعيين على الإذاعة المحلية بالمدينة، وأعلن مذيعهم القطب الشيوعى الكبير (أمير شرف الدين) عن قيام حكومة شيوعية فى أندونيسيا، مقرها ومركزها مدينة ماديون، وحدد أسماء وزراء حكومته التى ترأسَهَا هو، وأعلن على الناس برنامج حكومته الطموح (على حد زعمه) فى القضاء على معارضى الإنقلاب الجديد وحكومته، كما أعلن عن القضاء على من أسماهم الإمبرياليين، وأكد على إقامة علاقات قوية مع الإتحاد السوفيتى، وإقامة أتحاد معه.

اتجه أصحاب الإنقلاب الجدد إلى الإحراق والتدمير، والتخريب، والسرقة، والسطو، وهتك الأعراض، وسفك الدماء، من دون مراعاة حرمة ولا قيمة، وقد وقعت أثناء تلك الأحداث أعداد هائلة من الضحايا، أطفال ونساء ورجال، أكثرهم علماء الدين الإسلامى فى المنطقة الموبوئة التى أكلت النار آثارها وثراءها.

وقد أصدر نائب رئيس الجمهورية محمد حتى أوامره المباشرة إلى قادة الجيش بالتحرك لقمع الحركة الإنقلابية، وإعادة الأمن والطمأنينة للبلاد، وقد نجح الجيش فى القضاء على هذه الثورة الحمراء.

ومما يسجله المؤرخون: أن سوكارنو ألقى بيانًا عقب هذه الأحداث نسبها إلى أسباب اقتصادية، وحاول أن يدافع بشكل غير مباشر عن هؤلاء القتلة والمخربين(١).

بين الرجل الأحمر والجيش

ما أن استقال محمد حتّى من منصبه حتى انْفرد سوكارنو بالساحة، وعمل على تأكيد أسلوب حكمه (الفردى - المطلق) فاتجه إلى اليسار بشدة، فقرّب الشيوعية إليه وتقرب إليها، وعلى الجانب الآخر فإنه قد بدأ مسلسلاً كبيراً ضد القيادات الإسلامية، إما بتحييدهم، أو بإقالتهم، واستبعادهم.

ثارت لذلك ثورة الثائرين بقيادة ضابط يدعى «أحمد حسين» واجتمعوا فيما قِيلَ عنه (ديوان الكفاح)، وصدرت توصياتهم، وحددوا مطالبهم بإسناد الوزارة إلى محمد حتّى، وعودة الدستور المعطل.

رفض سوكارنو هذه المطالب، وذهب إلى أبعد من ذلك بكثير عندما أَمَرَ باعتقال قيادات هذه الحركة، فأعلن أحمد حسين ورفاقه الثورة على سوكارنو فى ١٥/٢/١٩٥٨م وقد ألف قائد الثورة حكومة ثورية جديدة أسندها إلى «شفر الدين».

---

(١) صفحات من تاريخ أندونيسيا ص ٦٢.

وجاء رد سوكارنو عنيفًا ومدمرًا فهاجم معقل الثوار فى مدينة « بادان » بالطائرات، فدمر المدينة وأحرقها وسقط من جراء هذا العمل الإجرامى كثير من المواطنين الأبرياء.

تصاعد الخلاف بين الرجل الأحمر (سوكارنو) وبطانته الشيوعية من جانب والمسلمين من الجانب الآخر.

وقد عبّر العالم الإسلامى الكبير (همكا) خير تعبير عن إحساس سوكارنو بقوله: « إن سوكارنو مستعد للتعاون مع الشياطين ليقهر المسلمين »(١).

وقد تأكد سوكارنو أن الخطر الذى يواجهه يأتى إليه من جهتين:

الأولى: الحزب الإسلامى الكبير صاحب القاعدة الجماهيرية الكبيرة فى عموم أندونيسيا « الماشومى »، فأصدر قراره بحل الحزب ومصادرة أملاكه وأمواله واعتقال قياداته وتتبُّع قياداته التنظيمية، وتصفيتها.

الثانية: قيادات الجيش، التى تصدت وبحسم أمام النفوذ الشيوعى، وأعاقت انفرادهم بالساحة السياسية بعد حل حزب الماشومى وحظر نشاطه.

تعاون سوكارنو مع الشيوعيين فى تنفيذ خطة مدروسة للقضاء على جنرالات الجيش والإطاحة بقياداته الوسطى واتخذ لأجل ذلك بعضًا من الإجراءات من أهمها:

* تعيين الكثيرين من الشيوعيين فى القوات المسلحة.

* إسناد قيادة القوات الجوية الأندونيسية إلى أحد أبرز العسكريين الشيوعيين وهو (عمروانى).

* بدأ الشيوعيون حملة مسعورة ضد القوات المسلحة فى صحفهم التى تعددت فى تلك الآونة، واتهموا قياداتها بالخيانة وعدم الإخلاص للبلاد، ولا لرئيس الجمهورية.

وجاء رد الفريق أول (عبد الحارث ناسوتيون) القائد العام للجيش مناسبًا أتم المناسبة، حيث أصدر أوامره المباشرة بالتصدى لتلك الهجمات الشرسة بإلقاء القبض على زعماء الحركة الشيوعية فى الحزب الشيوعى وفى الصحافة، وفى الجيش، واعتقالهم، وكان ذلك فعلاً فى النصف الأول من عام ١٩٦٠ م.

كانت هزيمة الشيوعيين تعنى بالضرورة هزيمة قاسية لسوكارنو شخصيًا فحار فى التعامل مع المستجدات التى أفرزتها الأحداث الأخيرة، إلا أنه جنح كعادته إلى الشيوعيين، فعارض أوامر الجيش ، وظهرت فى العلن الأزمة الحادة بينه وبين قيادات الجيش.

---

(١) التاريخ الإسلامى، والحضارة الإسلامية.

وفى مؤامرة سرية بالغة الخطورة اتفق سوكارنو مع زعماء الشيوعية على تنفيذ أكبر وأشهر عملية اغتيال عبر تاريخ أندونيسيا فى ظل الإستقلال تلك ما عرفت بعد:

خطة الإغتيالات

وقد وُضعَت هذه الخطة بإحكام للقضاء النهائى على ست من القيادات العسكرية، وهم الجنرالات قادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة الأندونيسية، تضمن هذه الخطة اغتيال تلك القيادات فى بيوتهم بالإضافة إلى عبد الحارث ناسوتيون – القائد العام للجيش، وقد حُدِّدَ لتنفيذها فجر الأول من أكتوبر عام ١٩٦٥م.

حالف التوفيق الشيوعيين فى هذه المرة فقتلوا القيادات الست، كما خططوا وأعدوا سلفًا، غير أن عبد الحارث استطاع النَّجَاة بجلده بعد أن نجح فى التسلل من بينهم، والهروب من الحصار المضروب على بيته بفضل حيلة باهرة، وخبرة عظيمة، وفطانة وكياسة كبيرتين، ولجأ إلى أحد قادة الجيش من المعروفين بمناهضة الشيوعية، واندفعا القائدان مع وحدات من الجيش من المعارضين للشيوعية، وتحقق لهما النصر الكبير.

ولكن سوكارنو كعادته لم يكن على الحياد، وأكد على معاداته للقيادات الوطنية، وموالاته للشيوعية وأذنابها، فحاول عزل سوهارتو من موقعه القيادى داخل الجيش، وأصدر أوامره المباشرة إلى القوات المسلحة بعدم التحرك إلا بأمر شخصى منه.

أعلنت قيادات الجيش رفضها، وعصيانها لأوامر سوكارنو، وتمردت على حكمه، واتخذت مجموعة من الإجراءات الوطنية العملية ضد سوكارنو ونظامه، واتجهوا لتصفية الحزب الشيوعى فى عام ١٩٦٦م، بل وتصفية الشيوعيين أنفسهم تصفية جسدية جزاء خيانتهم، وتم القضاء على معظم الشيوعيين وقادتهم، وأنصارهم من الوزراء، والمسئولين، ومؤيدى سوكارنو، وشيعته، وقد قابلت الجماهير هذه القرارات بسعادة وحفاوة وسرور. وبزوال الشيوعية فى أندونيسيا اتجه نجم سوكارنو للأفول بمعدل سريع، واندفع سهمه يهوى إلى القاع. ليلقى مصيره فى الخندق الذى حفره لنفسه بكلتا يديه، وبئس المصير.

تنازل سوكارنو عن السلطة الفعلية فى البلاد إلى (سوهارتو) الذى كان قد أمر بتعيينه فى ١١/٣/١٩٦٦م، وزيراً للدفاع، وقائداً عاماً للقوات البرية، وعليه فقد أصبح لسوهارتو الحق فى مباشرة مهام السلطة الفعلية فى البلاد، بينما ظل سوكارنو رئيسا للدولة بلا سلطات، وقد حظى سوهارتو بتأييد واسع من كافة طوائف الشعب فى مختلف الجُزُر الإندونيسية.

ثم أصدر المجلس الإستشارى المؤقت بالأغلبية المطلقة فى ٢٧/٣/١٩٦٨م قراراً هامًا يقضى بإقصاء سوكارنو عن الحكم، وتعيين سوهارتو رئيسًا للجمهورية، وقد أدى اليمين الدستورية فى التاريخ المذكور، أما سوكارنو فرحل إلى ثلاجة التاريخ غير مأسوف عليه حتى مات في ٢١/٦/١٩٧٠م[١].

وقف سوهارتو موقفًا وطنيًا يستحق الإشادة والتقدير لنزاهته وكفاءته ، وقد حظى بأغلبية الناخبين، وأعيد انتخابه رئيسًا للجمهورية أكثر من ثلاث فترات متتاليات...

وقد أتاح لإندونيسيا عهدًا من الإستقرار لم تعرفه أكثر دول العالم الثالث، وحقق – كما شهد البنك الدولى – منجزات اقتصادية واضحة[٢].

شبَاك التنصير

منذ أن وطأت أقدام المستعمرين الجزر الإندونيسية، حتى بدأوا فى إقامة مراكز التبشير بالمسيحية خاصة فى الجزر النائية، ومما ساعدهم على ذلك الطبيعة الجغرافية الإندونيسية الخاصة – حيث أنها لا تشكل وحدة واحدة من الأراضى المنبسطة ذات الحدود الواضحة، إن هى إلا مئات من الجزر المتناثرة.

وقد اتخذ الإستعمار من الجزر النائية ستارًا لأغراضه التبشيرية الدنيئة، فاتخذ من جزيرتى تيمور وفلورس، ومن سمبا، ووتّار، وسولا ويزى الشمالية والوسطى قواعد دائمة له، ولم تقنع جماعات التبشير بما حققت من نتائج فى الجزر التى ابتليت بهم، فاقتحمت المدن الكبرى، وأقامت تلك الجماعات مراكز لنشاطه التبشيرى.

وعن النشاطات التبشيرية الخطيرة التى تقوم بها جماعات التنصير فى أندونيسيا يقول الأستاذ الدكتور «أحمد شلبى» رحمه الله – على الصّفحة الثالثة والستين بعد الخَمْس مائة ضمن الجزء الثامن من موسوعته (التاريخ الإسلامى، والحضارة الإسلامية) وفى زيارتى الأخيرة لأندونيسيا (١٩٨١م) أحسست بالألم والحسرة لتبجُّح هذا التبشير، وتكالبه وشراسته، وقد اتخذ من مدينة (صالا تيجا) مسرحًا لنشاطه، وقد زرت هذه المدينة فرأيتها كأنها معقل من معاقل الفاتيكان، كلها كنائس وقباب وأجراس ومسوح، وقد عُنِى القائمون بالتبشير بمعاهد التربية بوجه خاص، لتُخرِّج هذه المعاهد مدرسين مسيحيين متعصبين ينتشرون

---

(١) اقتباسات من صفحات من تاريخ أندونيسيا – بتصرف.

(٢) التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج٨ ص٥٥١.

فى البلاد المختلفة، حاملين سُمَّ التبشير فى أعطافهم، وصرختُ صرخةً مزقت الأحشاء قائلاً:

أين ملوك البترول المسلمون؟

أين العلماء المسلمون .....؟

أين الغيرة الإسلامية .....؟

ولا تزال هذه الصرخات تنبعث من قلبى ومن وجدانى ومن قلمى كما تنبعث من صدور الآخرين) ... انتهى.

وأنا بدورى أصرخ من هذا المقام، على هذه الصفحات محزراً من أن ما حدث فى أكبر بلد إسلامى مساحة وسكانًا - وهو الذى تزيد مساحته على مساحة أوروبا مجتمعة، لهو الغاية التى رمى إليها الإستعمار، وهو الهدف الذى لأجله جاء إلى معقل الإسلام فى آسيا وإفريقيا.

وأُنَبِّهُ الجميع أن ما حدث بالأمس فى الأندلس، وفلسطين، وأفغانستان وما يعيشه الشعب المسلم فى العراق وفلسطين والبوسنة والشيشان، هذه الأيام هو بعينه الذى يتعرض له السودان، وتعيشه الجزائر، وتئن به اليمن - هو بعينه الطريق إلى مكة (سيرد ذلك فى حينه).

فلا يجب بحال إغفال العلاج الفورى الذى حدده لنا القرآن الكريم عند قوله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا** ﴾ وهو أمر أهملناه، ثم قال تعالى ﴿ **وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ وهو نهى أتيناه، إننا انتهينا عما أُمرنا به، وأتينا ما نُهينا عنه. فكان كما قال تعالى:

﴿ **جَزَاءً وِفَاقًا** ﴾ [النبأ: ٢٦].

﴿ **فَحَقَّ عِقَابِ** ﴾ [ص: ١٤].

أيها السادة: إن الاستعمار الغربى اتجه بكل قواه لغرس المسيحية فى الأراضى التى حَلَّ بهَا، مستخدمًا أدواته الكثيرة وإمكانياته الوفيرة، فى طليعتها الدعاية السامة لنشر الفكر الصليبى، ثم إقامة المدارس والمستشفيات فى المناطق المذكورة وفى غيرها. حيث تضلل جماعات التبشير (التنصير) الأطفال الذين لا وعى لهم ولا إدراك على حين غفلة من أسرهم، ويقدمون الرعاية الكاملة للأطفال الأيتام ويقومون بتربيتهم فى معاهد تربوية خاصة ليتخرجوا فيها مدرسين مسيحيين متعصبين، كما يُساوم المبشرون المسيحيون المرضى والفقراء والمطرودين من أبناء الدول المنكوبة على اعتناق المسيحية أو الموت البطىء بالحرمان من العلاج والطرد من المستشفيات وقد أثر استخدام تلك العوامل على ارتباط بعض أبناء الدول المنكوبة بالمسيحية وبالاستعمار

منذ وقت مبكر. خاصة أن إرساليات التنصير غرست مخالبها فى البلدان التى حلت بها مع مطلع الحملات الصليبية على الشرق كله «الأدنى، والأوسط، والأقصى» وكان نصيب أندونيسيا من المأساة وفيراً نوعه، وكبيراً حجمه، بالغاً أثرُه وخطرُه، وخلّف الإستعمار وراءه أيضاً أنصاراً له من بين البلدان المستعْمَرَة، يقومون على مصالحه ويحققون مآربه، خاصة الزعامات غير المسلمة التي تعمل فى المدن الرئيسية والجزر النائية سواء بسواء، وتبذل قصارى جهدها متفانية فى الإنابة عن حركات التنصير، باعتبارها أداةً رئيسية لتحركاته، وأنشطته.

وللحديث عن الجهد احبار لبعثات التبشير بقية سنتعرض لها لاحقًا لبيان أدواتهَا وفضح نتائجها فى الوقت المعاصر.

* * *

خامسًا: الأقليات الإسلامية فى آسيا

هناك عدد غير قليل من المسلمين يرنح تحت حكم وثنى أو شيوعى أو غيرهما، فى دول غير إسلامية – إنهم هم المقهورن بإعتبارهم أقليات فى بلاد لا تعرف غالبية سكانها غير الإلحاد، ولا تدين بغير الطاغوت.

ويأتى التعبير باستخدام كلمة أقلية مناسبًا أتم المناسبة إذا ما علمنا أن تعداد المسلمين فى الصين مثلاً يبلغ زهاء المائة مليون مسلم، وهذا الرقم يبدو كبيراً إذا ما قُورن بإجمالى سكان أهل الشام مجتمعين، أو أبناء دول مجلس التعاون الخليجى الستّ بانضمام السعودية، كما أنه رقم يفوق تعداد سكان اتحاد دول المغرب العربى كله، وهو يزيد كذلك بنسبة ٥٠٪ عن تعداد سكان أكبر دولة عربية من حيث الكثافة السكانية (مصر)، ولا عجب أن يكون الشعب المسلم فى الصين هو ثانى أكبر شعب مسلم فى العالم بعد إندونيسيا، أما نسبة المسلمين فى الصين إلى مجموع الشعب الصينى متعدد العقائد والأعراق، لا تتجاوز ١٠٪ من إجمالى السكان الزائدة أعدادهم على المليار نسمة، أما إذا ما صدقت الإحصائيات الجديدة التى ساقها غير مصدر فإن نسبة المسلمين إلى تعداد الصينيين لا يتجاوز [٧,٧٪] مراعاة أن مجموع السكان هناك يدانى المليارين من الأفراد.

ومثل ذلك فى دول الإتحاد السوفيتى، وأوروبا.

ويأتى الحديث عن أحوال المسلمين فى تلك المناطق ليقدم لنا صورة حية، وشرحًا مبسطًا لما سبق وأطلقنا عليه مُسمّى – صراع الحضارات – ، كما أنه يقدم كذلك ترجمة صادقة للحوار الدائر عبر القرون والمسمى – حوار الدبابات.

وسوف نعرض فيما يلى موجزا لبعض من ألوان هذا الصراع، ونقدم ترجمة لجزء وافر من هذا الحوار.

(أ) المسلمون فى البطن السوفيتى

يقول أهل الفكر والبحث، والمهتمون بشئون المسلمين، ودراسة مشكلاتهم والدارسون فى الحضارات المختلفة، والمنشغلون ببيان أوجه الإختلاف أو الإتفاق، ومدى التأثير أو التأثر بين الحضارات، وكذلك رصد نُفُورها أو تجاذبها، ولقائها أو مقابلتها، مع بيان أوجه الإنسجام أو الإنفصام، وهو القول المشهور لجميع المشتغلين بدراسة الحضارات – إذ قالوا:

إن الدين الإسلامى طرق الأبواب فى زوايا العالم الأربع، إلا بقعة واحدة لم يشأ الله لها بالهداية، وهى الأرض الخصبة التى شهدت النبت الأول للشيوعية، وهى أرض الدولة التى وضعت ما عُرف بعد (الإتحاد السوفيتى) – إنها روسيا التى لم يصلها شعاع الإسلام حتى الآن، وهى كذلك الدولة صاحبة الإرث الهائل من تركة الاتحاد السوفيتى المنهار، والتى حملت لواء الشيوعية بأفكارها الهدامة خاصة فى مناهضة الإسلام، وإبادة المسلمين وكانت روسيا لا تعرف ديناً من الديانات الثلاثة، ولا تقر بوجود إله واحد، حيث كانت لا تعرف غير ما كان يسود فى آسيا، وإفريقيا من عبادة أرواح الأجداد، والظواهر الطبيعية، والثعابين، كما وُجدت بها الوثنية والمجوسية (عبادة النار)، ولا تزال هناك شائعة حتى الآن.

وما زال الإسلام ينتشر فى كل قارات العالم – عدا – روسيا – ومرجع ذلك أن الروس ظلو وثنيين حتى نهاية القرن العاشر الميلادى، وكان الأباطرة متمسكين بعبادة الأوثان، ولم يسمحوا للأديان أن تطرق أبوابهم، حتى رأى الإمبراطور (فلاديمير) أنه آن الأوان ليترك عبادة الأوثان، فأخذ يتعرف على أديان عصره ليختار ديناً منها، فرفض اليهودية عندما قال له أتباعها أن منطقة بيت المقدس أرضهم، ولكن الله شتت شملهم، فصاح فيهم قائلاً: لقد بؤتم بلعنة من الله، فابعدوا عنا لأننا لا نريد أن نفقد وطننا، كما فقدتهم أنتم وطنكم، ورفض دين الإسلام لأن الإسلام يحرم الخمر، ويلزم الرجال بالختان، ولم يقبل المسيحية الكاثوليكية، لأن حفلاتها خالية من الأبهة والجلال.

أما الأرثوذكس فقد أعجبته لروعة ملابس القسيسين الكهنوتية، وزخاريف المذابح ورائحة البخور، وارتضى (فلاديمير) الأرثوذكسية ديناً سنة ٩٨٨م، وأصدر مرسوماً يقضى بأن يُذعن الروس كافة للديانة المسيحية، ولكنيسة القسطنطينية[١].

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص٢٥٤ : ٢٧٥ – بتصرف / توماس أرنولد.

ومنه يتضح أن اتجاه الروس إلى المسيحية لم يكن نابعًا عن عقيدة خالصة، أو فهم لمتطلباتها، وإن ظل الروس هكذا حتى عام ١٩٠٥م عندما صدر مرسوم يقضى بحرية العقيدة، وبالتسامح بين الأديان فى كل حدود الإمبراطورية الروسية.

وتجدر الإشارة إلى أن العرش العثمانى – عندما آل للسلطان مراد الأول امتد نفوذه ليصل فى عصره إلى سالونيكا، وأدرنه سنة ١٣٦١ .م ثم الشمال الأسيوى، وجره ذلك إلى الإشتباك فى حروب ضد بلغاريا والبوسنة، والصرب، ونجح العثمانيون فى إخضاعهم، ثم دارت معركة بين الصرب والعثمانيين خَرّ فيهَا ملك الصرب قتيلاً، ثم قُتِل مراد هو الآخر على يد أحد نبلاء الصرب[١]، وامتدت فتوحات مراد قبل وفاته لتشمل البلقان، والقرم، والقوقاز، وأصبحت الدولة العثمانية بالتالى فى مواجهة الإمبراطورية الروسية التى حملت لواء المسيحية بعد انهيار الدولة البيزنطية على أيدى العثمانيين. فالخطر الذى استشعره الروس من المواجهة المباشرة للخلافة الإسلامية جعلهم يعيشون فى رعب هائل من شدة قرب الجوار الإسلامى فى كل من ممالك أسيا الوسطى، التى تحدثنا عنها من قبْل، وإيران، والدولة العثمانية، خاصة فى ظل اعتقادهم بأنهم رعاة المسيحية الجدد، وعليه فإن الروس تعاملوا مع المستجدات على أن الإسلام هو العدو الأول لهم، فلجأت روسيا إلى الهجوم باعتباره خير وسيلة للدفاع فالتهمت دولاً إسلامية كاملة، وضمتها إليها قسراً وقهراً لمشاغلة المسلمين عن الدخول إلى أراضيها ولأخذ زمام المبادرة بالهجوم على الديار الإسلامية فى معاقلها، مستفيدين بذلك من الحملات الصليبية الغربية على الشرق، وزحفت بالتالى إلى المناطق الإسلامية المجاورة لها من جهة الجنوب والتهمتها.

ونعرض فيما يلى لبعض من المناطق التى انتشر الإسلام فيها، وقامت على أرضها مراكز إسلامية أثْرَتْ العلوم والمعارف الإنسانية والإسلامية، سقطت كلها تباعًا فى يد الروس كما سنعرض فيما يلى:

* مملكة طخارستان: على جانبى نهر جيحون وعاصمتها بلخ.
* مملكة الصغد: وهى تمتد من نهر جيحون إلى سيحون وعاصمتها سمرقند، وأهم مدنها بخارى.
* مملكة صغانيان: وتقع شمال نهر جيجون، وعاصمتها شومان.
* مملكة فرغانة: على جانبى نهر سيحون وعاصمتها جخندة (كاشان): وتقال

---

(١) انظر هذا بلاغ للناس – للمؤلف.

كذلك (اخسيكت)، وكان ملكها يلقب بالإخشيد، وهو اللقب الذى أطلق على الإخشيدى مؤسس الدولة الإخشيدية بمصر لصلة نَسَبِه إلى هذه البلاد.

* مملكة خوارزم: بالقرب من بحر خوارزم وعاصمتها الجرجانية.

* مملكة أشروسنة: فى الشرق من فرغانة، ولقب ملكها (الأفشين)، ومنها انحدر بعض المماليك الذين آل إليهم السلطان عندما ضعفت الخلافة العباسية بعد «الواثق»، وقصبتها «بنجكث».

* مملكة الشاش: فى شمال نهر سيحون وعاصمتها الطارنبذ أو (بنكث)[1].

وقد بدأ احتكاك المسلمين بهذه المناطق عقب الإنتهاء من فتح إيران سنة ٣١هـ وأسلم الاحتكاك إلى غزو مباشر منذ عهد معاويه على يد قائده (قيس بن الهيثم) الذى كانت له ولاية خراسان، فقد روى أن أهل [بادغيس، وهراة، وبلخ] قد نقضوا الصلح الذين كان بينهم وبين المسلمين منذ فتحها فى عهد عثمان رضى الله عنه فسار إلى بلخ فخرب معبدها، وعاد أهلها يطلبون الصلح فوافق عليه «قيس»، ولما علم أهل بادغيس وهراة بما نزل بأهل بلخ طلبوا الصلح على الشروط التى نزل عليها أهل بلخ فأجيبوا إلى طلبهم[2].

وقد تدفق العرب للحياة فى هذه المنطقة، حيث رحل لها خمسُون ألف أسرة من البصرة والكوفة واستوطنوها[3].

وولى معاوية أيضاً «زياد بن أبيه» بلاد العراق، ومن بعد زياد تولى ابنه عُبيدالله فكان لهما قيادة هذه الجهة، وفى عهد عبيدالله وصل المسلمون فى تقدمهم إلى بخارى وسمرقند[4].

وقد امتدت الفتوحات الإسلامية لتصل إلى بادغيس سنة ٨٤هـ، وشومان سنة ٨٥هـ وفى المدة من ٨٦: ٩٧هـ وصلت الفتوحات الإسلامية بالقرب من الحدود الصينية أو وصلتها فعلاً[5].

وقد قدمت تلك المناطق ثروة علمية عظيمة على أيدى مجموعة كبيرة من العلماء الأجلاء أصحاب الفضل والسبق والريادة فى مختلف فروع العلم والمعرفة، التى

---

(١) ممالك ما وراء النهر ص ٦، ٧ د. عبد الهادى شعيرة.

(٢) فتوح البلدان ص٣٩٩: ٤٠٠ البلاذرى.

(٣) المصدر السابق ص ٤٠١.

(٤) الإسلام والحضارة الإسلامية فى آسيا الوسطى ص١١٩ د. حسين محمود.

(٥) العلاقات بين العرب والصين ص٢٧، ٢٨ بدر الدين الصينى.

لم تتوقف افادتها قصراً على المسلمين، بل أتت أكلها لعموم الناس عبر مراحل التاريخ، وامتداداً إلى قرون أُخرى قادمة إن شاء الله تعالى: من أهمهم:

«الثعالبى» صاحب يتيمَةُ الدهر، و«الإمام البخارى» ٢٥٦هـ. صاحب كتاب (الجامع الصحيح)، والقزوينى، والعالم الكبير المتنوعة علومه وأفكاره (ابن سينا)، والإمام المحدث «الترمذى» أبو عيسى محمد بن عيسى صاحب «الجامع الصحيح» أيضاً ٢٨٩هـ، والفقيه الحنفى «أبو عبد الله محمد بن على» صاحب (توارد الأصول وعلل العبودية) ٢٨٥هـ، كما أنجبت تلك المناطق «الجورجانى» مُؤلف «الذخيرة» أول دائرة معارف طبية فى التاريخ، والبيرونى ٤٤٠هـ وهو الرياضى الفلكى الطبيب الكيماوى المؤرخ الذى يوصف بأنه أكبر عقلية فى تاريخ عصره، ومن علماء تركستان العظماء النسائى، والنسوى، والزمخشرى، وعبدالقاهر الجورجانى صاحب درة «دلائل الإعجاز» والذى نعرفه الآن عبد القاهر الجرجانى، والتفتازانى، والسكاكى، وأبو زيد البلخى، وغيرهم من العلماء والأئمة الذين يقر التاريخ بأفضالهم.

(ب) الزحف الأحمر

كانت روسيا القيصرية قبل بداية النظام الشيوعى، وإعلان الدستور السوفيتى عام ١٩٣٦م لا تختلف كثيراً عما كانت عليه بعد إنهيار الاتحاد السوفيتى: دولة عدوانية من طراز فريد، حيث تركز زحفها العدوانى على جيرانها فقط، ولم تُبحر بعيداً مثلما فعلت الدول الإستعمارية فى العصر الحديث.

فمع مطلع القرن التاسع عشر ضَمّت روسيا إليها (جورجيا) سنة ١٨٠١م قهراً من إيران، وبعد انتصار روسيا على إيران فى حرب ١٨٢٦م ضمت إليها تركستان، ثم الشركس والقوقاز من (البحر الأسود إلى بحر قزوين) سنة ١٨٦٤م، كما ضمت كل المناطق التى تقع بين منغوليا وقزوين، وجميعها مناطق إسلامية دخلها الإسلام منذ القرنين «الأول والثانى الهجريين» السادس والسابع الميلاديين.

وقد اتّجه الزحف الروسى إلى البلاد الإسلامية المجاورة لقلة التكاليف، وللسيطرة على أرض الجيران ومقاديرهم ومقدراتهم فيما يعد متمّماً للحملات الصليبية والعداءات الدولية الرهيبة، غير أن الزحف الأوروبى استلزم رحلات بعيدة المدى، باهظة التكاليف، وحمل معه بذور فشله، أما الزحف الروسى سرعان ما ادعى أن الأرض التى احتلها، ليست إلا جزءاً من دولتهم الكبرى، على عكس الزحف الغربى الذى لم يستطع أن يقول بهذه الإدعاءات على الأرض التى احتلها وراء البحار.

وقد سلك الروس فى سياستهم تجاه المناطق التى سيطروا عليها مسلك

(الترويس) – أى – القضاء على القومية الإقليمية لغة وشريعة، وجعلها جزءاً من روسيا.

ومن أخطر سياسة « الترويس » هذه أن عملت الحكومة المركزية فى روسيا على خلخلة التركيز الإسلامى فى المناطق الإسلامية، فدفعت أعداداً كبيرة من العناصر الروسية إلى المناطق الإسلامية، كما هجّرت أعداداً كبيرة من المسلمين إلى مناطق أخرى بعيداً عن التجمع الإسلامى، ويعتبر هذا المسلك هو أخطر ما قامت به الحكومة الشيوعية فى الإتحاد السوفيتى لإضعاف التجمع الإسلامى فى شتى المناطق الإسلامية التى خضعت لها[١].

وفى الموضوع ذاته تحدث العالم الكبير الشيخ الأستاذ/ محمد الغزالى قائلاً:

لقد قرر الروس الحمر أن يغيروا البلاد الإسلامية، ويحولوا تاريخها كله من مجرى إلى مَجْرَى فكانت الأوامر تصدر بهجرات جماعية واسعة المدى يتحول بها الناس من بلاد إلى بلاد، وتطبيقًا لهذه السياسة نقلت الحكومات الروسية جماهير المسلمين إلى برارى سيبيريا، وأواسط آسيا، كما نقلت الألوف المؤلفة من الروس والسلاجقة، وشحنت بهم أذربيجان وتركستان والقرم، وعند بدايات تنفيذ هذا المخطط الرهيب، قاوم المسلمون دفاعًا عن أرضهم ووطنهم وبيوتهم، فكان الفناء السريع جزاءهم، وأصبح تعداد الهالكين عند تنفيذ هذا البرنامج تعداداً مُخيفًا، وقد لوحظ أن هذا الترويس كان يبعد المسلمين عن أرضهم الخصبة الغنية، ويلقى بهم فى أحضان المجهول والفقر[٢].

وهكذا ابتلى المسلمون بالزحف الأحمر على ديارهم فى أوطانهم، واستولى الروس على أوزبكستان، وتركمانستان، تادجيكستان، وأذربيجان – وأرمينيا، وأصبحت الأخيرة إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى فيما بعد.

وكانت روسيا القيصرية شديدة فى تعنتها، قاسية فى معاملاتها مع المسلمين الذين عاشوا سادة للمناطق المذكورة قبل استيلاء الشيوعيين عليها.

ومع قيام الشيوعية فى روسيا عام ١٩١٧م أُعلن هناك عن الصيحة الكاذبة التى أطلقتها المحافل الماسونية فى الشرق وهى ما تعرف (الحرية – الإخاء – المساواة) لجميع الروس مع السماح للمسلمين بتكوين هيئة تشريعية إسلامية، وما كان ذلك فى حقيقته إلا خديعة ومكراً لثنى المجتمع الروسى كله وبخاصة الشعب المسلم عن

---

(١) المسلمون فى العالم ص١١٢ د. عادل طه.

(٢) الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص١٣٠ : ١٣١ أ. محمد الغزالى.

معارضة الحكومة الشيوعية الجديدة، وقد ابتلعت تلك الشعوب الطعم، وشربت السم المنقوع فى كؤوس العسل.

ومع اندلاع الحرب الأهلية المروعة عام ١٩٢٢ .م سارعت روسيا إلى تطييب خاطر المسلمين، وأبطأت من معدل صراعها ضدهم، وما أن وضعت الحرب أوزارها، بانتصار الشيوعيين حتى انطلقت روسيا بقوة ووحشية أكثر من ذى قبل ضد الإسلام والمسلمين.

وفى هذا يقول الدكتور أحمد شلبى على الصفحة ٥٩١ من المجلد الثامن ضمن موسوعته التاريخ الإسلامى نقلاً عن: (Laloile Rouge comlrele croissant) : شن الجيش الأحمر الحرب على المسلمين ، وكان يقبض عليهم ويقتلهم جميعًا، كما صادر المحاصيل، والماشية، وسلب ونهب».

ويحكى «ريمون شارل» أعمال الشدة التى باشرها الحكم السوفيتى ضد المسلمين ودينهم فيقول (إنه فى غضون عدة سنوات حُوِّلت ألوف المساجد إلى نادٍ للملحدين، وأُغلقت المدارس الدينية».

ونقلاً عن العوامل التى تنخر فى الكيان الإسلامى لمجموعة من الأساتذة على الصفحة ٣٨ : «ثُمّ أطلقت يد الشيوعيين القوميين فى مسلمى أسيا الوسطى – فأخذ هؤلاء الشيوعيون فى ذبح المسلمين بالجملة، وإحراق المنازل، وقتل المواشى، وارتكاب المجازر والفظائع، والجرائم التى لم يعرف التاريخ مثيلاً لها، وقد قُتل فى هذه المجازر ما يزيد عن مليون ونصف المليون من رجال الدين، وما يزيد عن أربعة ملايين مسلم من غير رجال الدين، هذا عدا الذين هربوا إلى البلدان المجاورة).

وقد ذكر كثير من الباحثين أن الشيوعية اضطهدت الإسلام أكثر مما اضطهدت غيره من الأديان، لأن كثيرين من أعضاء اللجنة المركزية بالاتحاد السوفيتى هم من اليهود، وهم بالتالى يجدُّون فى القضاء على المسلمين نصراً لليهود فى صراعهم ضد المسلمين، وعندما يبذلون الجهد لنشر الشيوعية فى الشرق الأوسط، فإنهم بذلك يخففون أو يزيلون الضغط عن إسرائيل(١).

وتجدر الإشارة إلى أن الإتحاد السوفيتى كان هو أسبق الدول حرصًا على الإعتراف بالكيان الصهيونى فى ١٥ /٥ /١٩٤٨م عند الإعلان عن قيام إسرائيل حتى قبل بريطانيا ذاتها بل وأمريكا.

---

(١) عالم حر جديد ص٦١، ٦٢ أ. محمد جميل.

وقد ابتُلى المسلمون في أوطانهم وديارهم وأموالهم وممتلكاتهم، ومتاعهم، وكان فيهم ما قال تعالى: ﴿ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ [الأحزاب: ١١]

وهذا أمر طبيعي في شأن الأقلية الإسلامية في بلاد تُحارب الأديان خاصة الدين الإسلامي، وهو كذلك أمر طبيعي مع وجود عالم إسلامي انفصل تمامًا عن ماضيه، ولم يعمل لغده، وقد أوشك أن ينسى تمامًا، ما لم يكن قد نسي فعلاً الملايين من إخوة الدين الذين ما زالوا يجأرون تحت جحيم الإلحاد والقسوة والظلم في البطن السوفيتي، الذين هدم لهم السوفييت «١٦٠٠» مسجداً في الجمهوريات الإسلامية التي سقطت تحت أقدام الدب الروسي الذي أبقى على بعض المآذن لذر الرماد في عيون الحكام المسلمين الذين يزورون الإتحاد السوفيتي.

وهذا هو شعب تركستان الذي قهر السوفييت إرادته في الإنفصال ورغبته في الإستقلال، وقد قابلوا نضالهم بالرصاص والقمع، وعلى ذات المسلك سار الروس في تعاملهم مع قضية الشعب الشيشاني المسلم، فقصفته بالطائرات، ونسفته بالصواريخ وهدّمت ديارهم بالدبابات، وأهلكت الحرث والنسل بالقنابل والنابالم والأسلحة الكيماوية ولا يزالون يعانون من الويلات.

﴿ وما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ [البروج: ٨].

وقد حكى الرواة وذكر المؤرخون أن المساجد التي أبقى عليها الروس في بلادهم، ولم يهدموها - إنما يُمنع المسلمون من دخولها وإقامة شعائرهم الدينية فيها، فإن أراد مسلم الصلاة قام بها سراً في بيته.

كذلك فقد تم إلغاء المدارس الدينية، وقتلوا علماء الدين الإسلامي أو اعتقلوهم أو قاموا بنفيهم خارج أوطانهم بحيث لا يجد أبناء المسلمين من يعلمهم أمور دينهم، ومن طلب ذلك وعمل لأجله فليكن سراً في بيته - وهو بذلك عمل مغلول - عديم النفع، قليل النتائج.

أما المدارس السوفيتية فإنها تعلّم النشء الجديد أن الدين خرافة، وما هو سوى وسيلة لتحكم الأغنياء في الفقراء، ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام أن «ستالين» استخدم أقسى عمليات التطهير العرقي طوال فترة حكمه، وأصدر مرسومًا يقضي بالقوة على استخدام الحروف العربية «نطقًا وكتابة» في الجمهوريات الإسلامية كما قاوم وأجهز على كل الثقافات الدينية الإسلامية في مناطق التجمع الإسلامي.

لقد نَجحت روسيا فالإتحاد السوفيتي ثم روسيا من جديد في الإبقاء على

المناطق الإسلامية التى ضمتها إلى أراضيها بالقوة، ولكنها إلى الآن لم تنجح فى القضاء على القوميات، والثقافات المختلفة، وليس أدل على ذلك من حركة تركستان الغربية الإنفصالية بالأمس القريب ، واليوم هناك قضية الشيشان فى قلب روسيا – وتلك الحركات وهذه الثورات، أزعجت القيادة السوفيتية كثيراً حتى أجبرت الروس على خطبة وُدّ الإدارات الأمريكية فى غير مرة، ومن ذلك ما قاله آخر قادة الإتحاد السوفيتى المنهار (ميخائيل جورباتشوف) : «لقد بدأ المسلمون يتململون وينفضون الغبار عن أنفسهم ويحاولون أن ينطلقوا، وإذا انطلقوا لن يقف فى وجههم شىء، وأن المستفيد الوحيد من اختلاف أمريكا وروسيا هو الإسلام فلا بُدّ من إنهاء مشاكلنا للوقوف فى وجه العدو المشترك – يعنى الإسلام)[1].

وقال معلق سياسى فى إذاعة إسرائيل من أصل روسى تعليقًا على الأحداث الجارية فى الاتحاد السوفيتى، المتزامنة مع تنامى دور حركات المقاومة الإسلامية فى فلسطين المحتلة، مع قوة حزب الله فى الجنوب اللبناني الذى أذل إسرائيل: قال الرجل: «إن عودة الروح الدينية بهذا الشكل المفاجئ، دليلٌ على فشل جميع أساليب القمع مما يحتم على جميع الذين يعتبرون الإسلام عدواً تاريخيًا لهم أن يعيدوا النظر فى الأمر للتوصل إلى اتفاق على أساليب جديدة وحاسمة لوقف الزحف الإسلامى الجديد، وعلى المحبين لإسرائيل أن يبذلوا جهودهم لإبقاء الروح الإسلامية خامدة لأنها إذا اشتعلت من جديد فلن نكون وحدنا فى خطر».

لقد وقف الإسلام حجر عثرة أمام تثبيت المفاهيم الإلحادية فى المناطق التى مُورست فيها أعمال الترويس، بحيث لم يتمكن الجيش الأحمر من تثبيت عقيدة الكفر التى يدينون بها، والدليل على ذلك أن جريدة (كيزيل أوزباخستان) اليومية فى افتتاحية عددها الصادر فى ٢٢ آيار (مايو، ١٩٥٢م)، كتب محررها «من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الإسلام نهائيًا»[2].

ومع استعار الحملة الشيوعية المجنونة والهجمة الصليبية الصهيونية الشرسة ضد الإسلام والمسلمين، ومع اشتداد وطيس صراع الحضارات الدائر منذ زمن طويل والذى يديره بتخطيط شيطانى ذلك التكتل العالمى (الوثنى – الصهيونى – الصليبى – الشيوعى) وعلى كل الأصعدة السياسية والإقتصادية والثقافية والإجتماعية قد تظهر الصورة قاتمة فى عيون بعض المسلمين ومن ثم يسألون هل إلى مرد من سبيل؟

---

(١) تبصير الأذهان ببعض المذاهب والأديان ص٨.

(٢) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله ص ٢٩.

يا إخوة الدين – إن لنا فى الأحداث لعبرة، وفى التجارب مكامن الخبرة، لقد وجب علينا التدبُّر، والإستفادة من ثوابت التاريخ وحقائقه التى تضمها صفحاته، وفى قلوب من أدمتهم الجراح، وحرقتهم النيران، إن هذه هى المقابر الجماعية التى دفنوا بها إخوة ديننا أحياءً لتشهد على فظائعهم، وتنطق بذلك عظامهم النخرة، كما يشهد عليهم ترحيل المسلمين عن أراضيهم الخصبة، وديارهم إلى المناطق الجليدية فى أقصى الشمال الروسى عند سيبريا حيث درجات الحرارة العظمى فى أغلب فترات العام ١٠ درجات تحت الصفر ليعيش المسلمون (ممن تكتب لهم الحياة) فى هذه البيئة القاسية التى لا حياة فيها إلاّ الرقاد فى الثلاجة الطبيعية الروسية.

وما كان ذلك واقعاً إلاّ بسبب توسع الإمبراطورية الروسية وقيام الإتحاد السوفيتى الذى طمس الهوية الإسلامية فى البلاد الإسلامية التى ضمها إليه أو تلك التى فى بطنه.... إنه بسبب الإتحاد الذى صيرهم إلى القوة، فى الوقت الذى عاد فيه المسلمون القهقرى، فحلت عليهم بسبب ذلك النكبات، وتتالت بهم الهزائم، فتلك الخلافة الإسلامية العُثمانية ذهبت وإلى غير رجعة، وتلك هى الإمبراطورية الإسلامية الإيرانية التى توسعت شمالاً ووصلت بالدين الإسلامى حتى حدود روسيا البيضاء ذاتها، فما أن حلّت بها الهزيمة أمام الجيش الروسى حتى أجبرها الروس على التخلى عن الكثير من المناطق الإسلامية التى كانت تحكمها، والتى كثيراً ما قدمت للإسلام والمسلمين علماء عظماء فى ميادين شتى، وباتت تلك البقاع الإسلامية تحت الحكم الأحمر حتى الآن.

ومما يثير الدهشة أن يتقدم الرئيس الروسى (فلاديمير بوتين) فى شهر أكتوبر من عام ٢٠٠٣م بطلب انضمام بلاده إلى عضوية منظمة المؤتمر الإسلامى.

وأقول لبوتين: إذا كان صادقاً فيما ذهب إليه فعليه أن يقدم أفعالاً حية وصور صادقة وترجمة فورية يؤكد بها على حقيقة نواياه وصدقها. فعليه أن:

* يرفع أيديه فوراً عن الشيشان المسلمة ويامر بسحب قواته منها ويترك للشيشانيين حق الإختيار المطلق بين الإستقلال التام أو العيش فى إطار اتحاد فيدرالى مع إمبراطوريته المجوسية أو الأرثوذكسية.

* يكفل حرية العبادات ويعيد للمسلمين كرامتهم التى امتهنت فى إمبراطوريته الشيوعية، وأن يعيد المساجد التى حولتها إلى نوادٍ للملحدين – الحكومات السابقة.

* أن يعيد المسلمين الذين تم تهجيرهم من بلادهم فى البطن الروسى الضعيف

إلى مناطق أخرى بإعادة تهجيرهم إلى مواطنهم الأصلية وأن يعوضهم تعويضًا مناسبًا.

* أن يترك للجمهوريات الإسلامية فى بطنه الضعيف حق الاستقلال التام.

* عليه كذلك أن يسمح للمدارس الدينية بعودة العمل - وإطلاق حرية البعثات الدينية الإسلامية.

إن قائمة المطالبات طويلة ومليئة، ولسوف تكشف لنا الأيام عن غرابة عرض فلاديمير بوتين - بطلب عضوية بلاده إلى منظمة المؤتمر الإسلامى.

الشيشان

الواقعة فى أحشاء الروش - عرضنا لمآسيها المتصلة حتى الغد على صفحات كتابنا (المؤامرة الكبرى) المشار إليه فى غير موضع[1].

* * *

(جـ) إبادة الوجود الإسلامى فى كازخستان المسلمة

وتُكتب قازاقستان: وقد جعلتها الحكومة المركزية السوفيتية ميدانًا لتجاربها النووية مما أدى إلى تحوُّل هذه البلاد إلى شرنُوبل أخرى.

وقد انكشفت هذه الحقيقة عندما عقد بعض أساتذة معهد الطب الشرعى القازاقى مؤتمرًا صحفيًا فى أسطانبول، وكان المتحدث باسم أساتذة المعهد وهو الدكتور (حاتم بالقومان) رئيس المعهد الطبى الإشعاعى فى قازاقستان.

وقد عدد الدكتور «حاتم» بهذا المؤتمر التجارب النووية التى قامت بها روسيا فى «كازخستان» حتى وصلت إلى سبعمائة تجربة نووية حتى مايو ١٩٩٠م ثم قام بذكر المآسى التى يعانيها مسلمو بلاده من جراء قيام روسيا بإجراء تجاربها ومنها:

(أ) وفاة (١٠٠,٠٠٠) مائة ألف مسلم قازاقستانى نتيجة الإشعاع النووى الناتج عن التجارب الروسية النووية.

(ب) وفاة حوالى ٠٢٩٪ (فى الألف) من أطفال مسلمى قازاقستان متأثرين بالإشعاعات النووية على الأمهات.

(جـ) إرتفاع نسبة الأمراض النفسية فى بلاده إلى ٤٨٪ من جراء المآسى الكائنة.

(د) إصابة مائة ألف (١٠٠,٠٠٠) كازاخستانى بمرض السرطان نتيجة للتجارب النووية.

---

(١) الصادر عن الدار العالمية للنشر والتوزيع.

وأنهى الدكتور حاتم كلامه بأن الأحداث التى وقعت فى قازاقستان لم تكن إلا محاولة من الحكومة المركزية فى « موسكو » لإنهاء الوجود الإسلامى فى بلاده.

أما تعليل حكومة موسكو لهذه المآسى التى يعانيها مسلمو كازخستان بأنه نقص فى الفيتامينات وهو السبب فى تأخير صحة المسلمين فى كازخستان وأن الحكومة جادة فى سد النقص فى الفيتامينات.

وقد قام الدكتور حاتم بتكذيب وجهة النظر الرسمية السوفيتية، فقد إضطرت الحكومة السوفيتية إلى الكذب حتى لا تثير الرأى العام العالمى والإسلامى(١).

وما زالت حلقات المسلسل الإجرامى مستمر عرضها، ولا يزال العرض مفتوحاً.

* * *

(د) المسلمون فى البلقان

لا يمكن قبول الحديث عن مشكلة المسلمين فى منطقة البلقان بإعتبارها مشكلة أقلية إسلامية تعيش فى وسط أغلبية ملحدة أو وثنية أو غير ذلك، فيمكن عندئذ الحديث عن أحوالهم وحياتهم وعرض مآسى اضطهادهم أو إبادتهم.

أما مشكلة المسلمين فى منطقة البلقان (البوسنة، والهرسك، وألبانيا) هى مشكلة أعمق بكثير وأشد خطورة وصعوبة من مشاكل الأقليات الإسلامية فى دول أخرى. وذلك لأنها مشكلة دول إسلامية سُنِّيَّة تقع فى قلب أعدائها من الصرب والكروات والجبل الأسود وهم أحفاد البيزنطيين الذى يحملون مشاعر عدائية نظراً للموروث العدائى التاريخى بينهم وبين الفتح الإسلامى خاصة فى عصر العثمانيين – بالإضافة إلى روسيا التى ترى نفسها الوارث الشرعى للدولة البيزنطية، لذلك فهى تجتهد أيَّما اجتهاد لِبتْرِبَنَانِ كل ما هو إسلامى (ذكرنا من ذلك الكثير)– وهم جميعاً أنصار إسرائيل.

وتكمن مشكلة شعب البوسنة والهرسك فى أن أوروبا على إطلاقها تقف موقف الرفض القاطع لهذا الوجود الإسلامى على أراضيها. وإذا كانت أوروبا حاربت فكرة قيام دولة إسلامية فى الجزائر العربية شمال أفريقيا لأنها تقع فى مواجهة أوروبا من جهة جنوب المتوسط، حتى لا يزحف المسلمون إلى الشمال ليقيموا أندلساً أخرى فيصبح الغد على ما بات الأمس، وذبحوا الخلافة الإسلامية فى تركيا، وزرعوا مكانها دولة علمانية لا تؤمن بدين، ولا ترعى قيمة.

---

(١) نقلاً عن المختار الإسلامى ع ١٤٩ – فى ١٣/٦/١٩٩٥م.

كما اتفقت روسيا وأمريكا للحيلولة دون قيام حكم إسلامى فى أفغانستان، وهؤلاء هم جميعًا يفرضُون حصارًا اقتصاديًا قويًا على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهم يلوحون الآن بعصاهم ضد المملكة العربية السعودية حيث قلعة الإسلام وكعبة المسلمين وقبر الرسول ﷺ وصحابته فى المدينة المنورة (يثرب) التى يدعى اليهود الآن بأن لهم فيها حقوقًا تاريخية – يعملون لاستردادها بكل قواهم.

فهل تسمح أوروبا بقيام دولة إسلامية سُنِّيَّة على أعتابها؟!!

إن مأساة البوسنة والهرسك قد عرضنا لها تفصيلاً على صفحات كتابنَا (المؤامرة الكبرى) وشرحنا أبعاد المؤامرة ضدهم منذ تعرض المسلمون هناك لألوان شتى من التعذيب والتنكيل والقتل، والتخريب والتدمير، والتهجير والتنصير على يد النِّمْسا والمجر، ومنذ وقُوع البوسنة والهرسك تحت حكم صربيا «١٩١٨ : ١٩٤١م» مروراً بما تجرعوه على أيدى الطاغية « تيتو »، وانتهاء بحكم « سلوبودان ميلوسيفتش »، وذكرنا كذلك بعضًا من أخطر تصريحات أشهر سياسىّ أوروبا ومن أهمها ما قال رئيس الوزراء الفرنسى الذى ذهب إلى البوسنة فيما أُذيع أنه يحمل خطة سلام تقضى على النزاع البوسنوى الصربى المسلح الذى كان يهدف إلى إبادة الوجود الإسلامى فى البلقان، وقد عبر الرجل صراحة عن الوجه الفرنسى كأحد أهم الوجوه المطلة على الأزمة، الساعية لإيجاد حل لها حيث قال متخاطبًا مع الرئيس البوسنوى (على عزت بيجوفيتش) : [ليكن فى علمك بوضوح أن فرنسا لن تسمح مطلقًا بوجود دولة على عتبات أوروبا يحكمها المسلمون].

كذلك فقد فضحنا الدور الإسرائيلى القذر فى تلك الحرب الأشد قذارة، والذى امتد بدعمه من الشرق الأوسط إلى شرق أوروبا ووسطها حقدًا على المسلمين، وكراهية فيهم، وربما كان الموقف الإسرائيلى ردًا للجميل السابق.. عندما قدم الروس والصرب للإسرائيليين فى حرب ١٩٤٨م كافة أشكال الدعم والذى وصل إلى حد المشاركة الفعلية فى الحرب، حيث تحدثت أنباء مؤكدة عن أن جنوداً شيوعيون كانوا يحملون أسلحة سوفيتية الصنع، وقد اشتركوا فى الحرب ضد العرب إلى جانب العصابات الصهيونية.

ومن هنا يمكن القول بان الوجود الإسلامىّ فى البلقان يشبه جزيرة إسلامية تموج فى بحر لجىّ فى محيط الكفر الواسع، فجميع دول الجوار مُجْتمعَاتٌ تحارب الأديان وتتشدد عن جهالة وحماقة لعقيدتها الضالة المضللة، وهى فى سبيل ذلك تجند كل طاقاتها، وتحشد كل قواها، وتسخر عظيم إمكانياتها للقضاء على الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض، وليس أدل على ذلك من الحملات الصليبية التى

عبروا لأجلها البحار ليهـ جمتوا الديار الإسلامية فى أوطانها ووصولاً إلى الجنوب الشرقى الأسيوى بعد الإلتفاف حول إفريقيا، ونوعوا وطوروا لأجل هذه الحرب المجنونة وسائلهم وأدواتهم، وابتكروا وأضافوا واجتمعوا واتحدوا وصاروا يعملون فى خندق واحد يُصيبُون من المسلمين ما شاؤوا ضمن إطار زمنى وخطَطى محكم – حتى باتت ممالك إسلامية فى خبر كان ولا أثر لها – وإن الصراع ليحتدم والصدام ليشتد، وإن الأيام حُبلى ببغيهم، وتمضى الأيام نحو الأجل الحتمى المعلوم.

* * *

(هـ) الأقليات الإسلامية فى الصين

هناك علاقة تجارية قوية وروابط مصاهرة بين العرب والصينيين منذ قبل ظهور الإسلام، إذ أن الثابت عمليًا وتاريخيًا أن الصينيين كانوا يتعاملون مع آسيا الوسطى والغربية (شبه جزيرة العرب) وضواحيها قبل الميلاد، وفى القرون الأولى من الميلاد.

وقد كان اتصال العالم العربى والإسلامى بالصين اتصالاً دائمًا ومتجددًا ومباشرًا وغيرَ منقطع، وقد سلك العرب فى رحلاتهم إلى الصين مسلكين:

الأول: بحرى – ويبدأ من الخليج العربى مرورًا بسواحل الهند، وسيلان، والملايو انتهاء بالموانى الجنوبية للصين.

الثانى: برى – ويبدأ من سواحل الشام مرورًا بالعراق فإيران ومنها إلى كشمير أو سمرقند فالصين.

وقد وصل الإسلام إلى الصين فى وقت مبكر جدًا، حمله إلى هناك التجار العرب والمسلمون من مناطق الجوار بالإضافة إلى الرحلات البحرية المتعددة للأساطيل الصينية التى كانت تأتى إلى الخليج العربى.

وقد أقام المسلمون فى منطقة (خانقو) مستوطنة عربية إسلامية جذبت إليها التجار العرب والفُرس.

وفى المدينة « البوابة البحرية » الصينية (كانتون) عاش عدد هائل من المسلمين، وأقاموا مركزًا تجاريًا لهم إلى جانب المركز التجارى فى (خانقو) وأقاموا مسجدًا كبيرًا أسموه مسجد (ذكر النبى)، وتكوّنت بعد ذلك جاليات إسلامية فى « تْشُو إن تْشُو »، و« هانج تشو »، وامتدوا إلى مناطق أخرى[1].

وفى عام ٧٥١م استولى المسلمون على « طشقند » عقب هزيمة جيش صينى فى

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص١٣ وما بعدها – اقتباس بتصرف.

معركة « طلاس » واستطاع القائد (أبو مسلم الخرسانى) أن يمكن المسلمين من أن يصبح لهم مكانة رفيعة فى هذه المناطق[١].

وفى عهد الخيفة العباسى « أبو جعفر المنصور » رحل المسلمون إلى الصين للقضاء على ثورات داخلية بناء طلب الإمبراطور (سوتشونج)، واستطاع الجيش الإسلامى أن يقضى على الفتنة الداخلية، وأن يرد للإمبراطور هيبته ومكانته وقد طلب الإمبراطور بقاء المسلمين فى « شانغ آن » والإستيطان بها. وسرعان ما تزوج هؤلاء من صينيات، وتكونت منهم جالية كبيرة قوية فى الشمال الغربى للصين، وانتشروا لاحقًا فى أنحاء هذه المنطقة[٢].

وكان من أهم أسباب انتشار الإسلام فى الصين فى عهد المغول أن بعض أباطرة المغول الصينيين المسلمين وضعوا شرطين لتولى أهل الصين الوظائف، هذان الشرطان هما معرفة لغة المغول، واعتناق الدين الإسلامى[٣].

وقد تمتع المسلمون فى الصين بنفوذ واسع وصار لهم سؤددًا كبيرًا حيث وَلى ثمانية ولايات حكام مسلمون من جملة الولايات المُغولية الإثنى عشر، كما نعم المسلمون فى الصين بالحرية والأمن ورغد العيش، ورفه الحياة على الرغم من تضييق الخناق من قِبَل أسرة منغ (١٣٦٨ : ١٦٤٢م) حيث وجدوا بعض العنت من الحكم الصينى، ولكن الإمبراطور الصينى لم يلتفت لهذه المحاولات المغرضة.

المسلمون والعهد الشيوعى

منذ عرفت الصين الحكم الشيوعى ١٩٤٩م حتى الآن – هرب بعض المسلمين إلى تايوان وآخرون إلى الهند والباكستان، ومصر، والسعودية، وظلت الغالبية العظمى من المسلمين متمسكين بأرضهم وديارهم، فالصين موطنهم الذى لا يجدون عنه موئلاً، ولا يبغون عنه حولاً.

وعلى الرغم من هجرة بعض المسلمين مبكرًا طلبًا للنجاة من البطش الشيوعى الذى وصل فجأة إلى رأس الحكم فى الصين، إلا أن الرواة والمؤرخين أنصفوا الحياة من غير هوى، وقصوا القصص من دون تسويف أو تزييف، من ذلك ما قاله الأستاذ الدكتور / أحمد شلبى « وربما حاز لنا أن نقول أن الشيوعية عدوة للإسلام والمسلمين

---

(١) تاريخ المسلمين فى الصين ص١٦، ١٧ بدر الدين الصينى.

(٢) الصين والعرب ص٣٥ محمد محمود زيتون.

(٣) المصدر ذاته ص٢٣.

فى كل زمان ومكان، وأن دماء المسلمين استباحها الشيوعيون دائمًا، ولكن ربما جاز لنا أن نقول أن الصين كانت متأثرة بعراقتها الحضارية، وبأمجادها التاريخية، فلم تكن عنيفة مع الأديان، كما كانت روسيا، ولهذا بقيت الكونفوشية فى الصين وبقى الإسلام كذلك، ولم ينزل بالمسلمين ذلك الضر الذى نزل بإخوانهم فى روسيا».

وأنا بدورى أؤكد على ما ذهب إليه المرحوم الأستاذ الدكتور «أحمد شلبى»، غير أننى أضيف على ذلك أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى كانت لجنة وطنية تضم أعضاء من الوطنيين الصينيين، وكانت خالية تمامًا من أية وجود يهودى على عكس ما كانت تضم مثيلتها فى الحزب الشيوعى السوفيتى، وكان ذلك من حسن الطالع للمسلمين الصينيين، بل وللصين ذاتها.

ولما جاءت الثورة الثقافية الصينية عند الستينات أنزلت بعض المتاعب بالمسلمين وحرمتهم من الإمتيازات التى كانت تُمنح للمسلمين، ولكن فى يوليو ١٩٧٩م أصدرت حكومة الصين تعليماتها بالسماح للمسلمين بتأدية شعائرهم الدينية، وإعادة فتح المساجد للعبادة، بعد أن كانت قد تحولت إلى متاحف للزيارة، وكان ذلك هو الإتجاه الرسمى لحكومة الصين بعد «ماوتسى تونج» لتخفيف إجراءات ما سُمِّى بالثورة الثقافية، ولتحسين العلاقات مع الدول العربية والإسلامية بوجه عام[١].

ونتيجة لهذا الإتجاه، الذى تسانده الأخلاق الصينية أصبح للمسلمين مكانة طيبة فى الصين، وهم يشغلون الآن وظائف كبيرة، ومواقع مرموقة، بل ويتمتعون بالحكم الذاتى فى ولايتى (لينسيا) و(سينكيانج) التى أصبحت دولة تتمتع بالحكم الذاتى اعتبارًا من ١٩٥١م، وقد عُيِّن «السيد سيف الدين» رئيسًا لها[٢].

ويذكر صاحب كتاب الدعوة إلى الإسلام أن ظروفًا معينة، وتحولات محددة جعلت الصينيين يدخلون فى الإسلام بأعداد كبيرة مما حدا بكاتب روسى يدعى (فاسيليف) سنة ١٨٦٧م أن يؤلف كتابًا عن الإسلام فى الصين يذكر فيه أن الإسلام فى الصين مُهَيَّءٌ تمامًا لأن يصبح الدين القومى للإمبراطورية الصينية، وهذا سيقلب تباعًا الأوضاع السياسية فى العالم الشرقى رأسًا على عقب[٣].

وفى هدوء تام، ومن غير صِدَام، وباستخدام الحوار بين العقول، وبإمكانيات التأثير، ووفرة الأدوات أضحت الكونفوشية فى الصين هى الدين والقومية بحيث بات

---

(١) المسلمون فى العالم ص١٠٥ د. عادل طه.

(٢) القاموس الإسلامى ج٤ ص٣٨٩. أحمد عطية الله – بتصرف.

(٣) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٤٧.

من العسير انصراف أتباعها عنها، والسبب فى ذلك العرض العام المتمثل فى تراخى المسلمين، وإهمالهم فى الدعوة وإعراضهم عن الجهاد، وعجزهم عن التبليغ وندرة المطبوعات الإسلامية التى تصل بصحيح هذا الدين الحنيف إلى المسلمين فى بلادهم بلغتهم المحلية، هذا غير ضعف إمكانيات العالم الإسلامى دعائيًا وإعلاميًا فى عصر السماء المفتوحة (الفضائيات)، وكذلك لجوء أموال البترول العربية والإسلامية إلى بنوك الأعداء والتى دومًا ما تنتهى عند التجميد والمصادرة (والشواهد وفيرة ومتعددة)، وبفضلها تمكن أعداؤنا فى صراعهم المرير ضدنا من توجيه حرابهم، ونبالهم، وصواريخهم، وقنابلهم، وإعلامهم، وثقافتهم ضدنا وعلينا، كما صدروا إلينا أدب الإباحية (قلة الأدب) عبر الشاشات الكبيرة والصغيرة على السواء... إلخ من الأدوات المفضوحة التى تقضى على الشباب من غير إطلاق طلقة نار واحدة. أى – ولادة جيل جديد عند مستوى ثقافى دينى – صفر – حتى يصبح أرضًا خصبة لغرث شتلات ثقافات جديدة تتواءم مع الثقافة الوافدة التى لا تخدم غير الغرب وسياسته ومصالحه وإرساليات تبشيره – كل ذلك بأموال البترول العربى والإسلامى التى تهاجر من بلادها طوعًا أو كرهًا فى ظل ظروف داخلية، وإقليمية، ودولية معينة – لا يعلم إلا الله وحده عند أى مدى، ومتى ستنتهى– ، وكذلك أثمان مشترواتهم من الأسلحة التى تصنعها بلاد الكفر – ليتقاتل بها العرب والعرب، والمسلمون من غير العرب مع العرب؛ ثم أبناء الوطن الواحد.

درس مستفاد

مما يثير العجب، ويحض على الإستغراب أن جمهورية الصين الشعبية ذات الأخلاق السامية، صاحبة الحضارة الطاعنة فى جذور التاريخ، التى يعيش على أرضها ما يدانى ثلث سكان العالم تقريبًا أنها تَتَمتّع بالكفاية الإنتاجية، ووفرة رؤوس الأموال كما أن لديها ثروة عظيمة من الأيدى العاملة الماهرة فى مختلف الميادين (صناعية، وزراعية، وتكنولوچية، وعلمية، وبحثية، وعسكرية، وفضائية) وقد قامت بغزو الفضاء الخارجى لتقتحم على الولايات المتحدة وروسيا وتكسر احتكارهما لهذا المجال من خلال الإعلان عن برنامج طموح لغزو الفضاء فى مجالات عسكرية وبحثية – بما ينبئ عن تحول الصين إلى قوة عظمى خلال سنوات قليلة قادمة.

وإذا كانت إسرائيل قد تخلت عن بريطانيا وهى (أمها الشرعية) وتحولت إلى الولايات المتحدة بمجرد ظهور نَجمها وسطوعه الذى تزامن مع أفول النجم البريطانى الذى تحول إلى قوة من الدرجة الثانية بعد الحرب العالمية الأولى، فإنها – إسرائيل – لن

تتحرج فى التحول عن الولايات المتحدة وأن تولى وجهها صوب شرق العالم إلى النجم الصينى الجديد القادم بقوة، بعد أن ولت وجهها سلفاً إلى الغرب وقبله إلى الشمال، وإنى لأنبّه العالم العربى كله على ضرورة تطوير العلاقات العربية الصينية وتنميتها وازدهارها، خاصة أن لنا فيهم نسباً وصهراً، وارتباطاً ثقافياً وميراثاً تاريخياً وحضارياً كبيراً – وعلاقات تجارية قوية تسبق الميلاد بعدة قرون، كما يجب أن نغلق الباب تماماً ومبكراً أمام أية محاولة إسرائيلية للطرق على هذا الباب فى ظل وجود إسرائيلى مكثف فى الهند أسفر عن توقيع اتفاقيات عسكرية وإقتصادية طويلة الأمد بين الجانبين الهندى والإسرائيلى – فقط لنقرأ الأحداث ونستطلع التاريخ، ونستخلص العبر، ولنسبق إسرائيل فى هذا المجال.

أنتبهوا أيها السادة

إن الصين بهذه المقومات والقوة أمرت بالتخفيف عن المسلمين، وعملت على الحد من الإجراءات الإستثنائية التى فَرَضتْهَا الثورة الثقافية أثناء حكم « ماو » الذى أذاق المسلمين ألوان العذاب، وتجرعوا على يديه كأس المرار – وهو الرجل الذى تَغَنَّى فيه إعلام كبريات الدول العربية، وقد بالغنا فى الثناء عليه والمديح فيه، وكأنه جاء ليخلص البشرية من آلامها ويحقق آمالها وأنه سوف يلقى بإسرائيل فى البحر نيابة عنهم.

أوَ تدرى لماذا صححت حكومة الصين مسار علاقاتها بالمسلمين الصينيين، وسمحت لهم بتأدية شعائرهم الدينية والقيام بمناسكهم، وفتحت لهم المساجد بعد أن حولتها ثورة (ماوْ) سلفا إلى متاحف.

الجواب: إنها خطوة على طريق تصحيح مسار علاقاتها بالعالم العربى والإسلامى لأجل علة غائية لا اجد تحرجاً فى الكشف عنها، وهى:

إن دولة عربية إسلامية واحدة هى (المملكة العربية السعودية) يمكنها أن تصيب الإقتصاد الصينى فى مقتل، إذا ما اتخذت المملكة السعودية قراراً يقضى بفرض حظر على الواردات الصينية، ومنعها من دخول أراضيها – الأمر الذى يصيب الدخل القومى الصينى بكارثة محققة إذا ما كان واقعاً، لأن دخل الفرد فى الصين « أيا كانت عقيدته » سوف يتأثر سلباً من جراء عملية الركود.

ولكن لماذا التّدليل بالسعودية وحدها؟

والإجابة تجدها ماثلة عند النظر إلى الحشود الهائلة التى تفد إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مرة كل عام، ثم أتبع النظر مرات إلى مواسم العمرة المختلفة.

إن المنتجين والحرفيين والصناع والتجار الصينيين يستعدون أيّما استعداد للمواسم السياحية المتعددة فى المملكة السعودية باعتبارها أكبر سوق سياحى تجارى عالمى – ينعقد فى مواعيد ثابتة – وهم يبيعون فيه منتجاتهم – كل المنتجات – من الإبرة إلى السيارة – مروراً بالمسبحة والجلباب ومستحضرات التجميل، وجهاز الكاسيت، والراديو، والفيديو، والديكودر، والأجهزة الكهربائية، والأقمشة، والمنسوجات، وأدوات المطبخ، حتى حجّابة الشمس، وزر الكهرباء، حتى القلم الرصاص، وولاعة السجاير والسلع المعمرة، – كل شيء – انتبهوا أيها السادة – إنهم يتاجرون ويصنعون كل شيء حتى تصدير الخادمات، والسائقين والطهاة ولاعبى الأكروبات، ومدربى الحيوانات، والثعابين والحيات والعقرب... ولم يتوقفوا عند الحدود الجغرافية للسعودية – بل دفعتهم شطارتهم إلى اقتحام مجلس التعاون الخليجى – وهم هناك يجلبون تجارتهم من البشر عن طريق السماسرة، والوكلاء من الهند وماليزيا، وسنغافورة، والفلبين، بل ومن إيران للعمل فى أعمال معينة فى هذه البلاد، ولكنك لن تجد صينياً واحداً بين هذه النوعيات، فالصين ترفع شعار «الموت لمن لا يعمل» فالكل يعمل، ويُنتج ويتاجر ويُصدّر أو يستورد مما يحتاجونه وهو القليل – ومن دول الجوار – للإقتصاد فى نفقات النقل والشحن للحفاظ على الحد الأدنى للأسعار مراعاة للخطوط المعينة التى تعين الإقتصاد القومى ولا يمكن تجاوزها.

إنهم «الشطار» الذين ضَرَبوا الإقتصاد الأمريكى فى مقتل على أرضه، ونافست منتجاتهم المنتجات العالمية فى أوطانها، بفضل تقديم منتجات تناسب كل الدخول وفى كل مكان بواسطة المنتجات الأرقى والأقل والأجْوَد، والأدنى حتى عانت بعض الدول من قضايا إغراق أسواقها بالسلع والمنتجات الصينية التى باتت تهدد الصناعات الوطنية فى كثير من دول العالم خاصة العربى منها – لأننا فتحنا أبوابنا (ع البحرى) أمامهم ليصدروا لنا كل شيء، أما هم – فقد وصّدوا أبوابهم أمام إنتاجنا وأحكموا غلقها حتى النوافذ.

ويبرز على السطح سؤال بالتالى: وهو:

ما هى القيمة النقدية للمبيعات التى يحققها التجار الصينيون فى أكبر سوق سياحى عالمى فى المملكة السعودية؟

إن حجم المبيعات يفوق الخيال، وأثمانه فوق التصور. وذلك لأن الصينيين يستعدون لمواسم العمرة وموسم الحج أكثر من المسلمين أنفسهم – وهُم أشد حرصاً على ذلك، فليست هناك دولة عربية أو إسلامية بمقدورها الوفاء باحتياجات السوق

السعودى وإن استطاعت الوفاء فإنها لن تستطيع الترويج لتسويق منتجاتها أمام هؤلاء التجار «الشطار». خاصة بعد أن تحولنا جميعاً إلى سوق استهلاكية تنافسية تتباهى فقط باقتناء واستهلاك السلع المستوردة «والعوض على الله».

وليس هذا اتهاماً بالفشل، ولكنه تقرير للواقع، كما أنه يأتى من باب لفت الأنظار إلى ما يمكن أن نحققه نحن العرب من مكاسب مادية، واقتصادية، وخبراتية، ومنافع تبادلية هائلة إذا أمكننا السيطرة على هذه السوق الكبيرة الرائجة، والوفاء بالتزاماتها، وتلبية متطلباتها، وإدارتها بحيث لا تقل الجودة، ولا ترتفع الأسعار، بحيث تظل فى مستوى أسعار مثيلاتها الصينية والإندونيسية والماليزية – الوافدة والمنافسة بقوة، ومن أجل البقاء والسيادة والتربح، وفرض الوجود بقوة الإقتصاد، ومتانة العلاقات السياسية.

ولننتبه إلى ما فعل الحزب الشيوعى الصينى هناك – إنهم قد سمحوا بحرية المسلمين من دون قيد أو شرط لا لشىء إلا لأجل رفاهية المجتمع الصينى الذى ينتج، ويطور إنتاجه وأداءه، وتوفر له الحكومة سوقاً أو قل أسواقاً كبيرة لتصريف منتجاتهم حتى ولو كان ذلك على حساب العقيدة السياسية للبلاد والنظام الحاكم، باعتبار أن الإقتصاد أولا – ثم تأتى السياسة فى خدمته ورعايته.

ثم اتبع النظر مرتين إلى أحوال عالمنا العربى والإسلامى، قطعاً – سينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير.

فعلى الرغم من المذابح والقتل والتشريد والهدم والإغتيالات، ونسف المساجد فى فلسطين فى قلب العالم العربى ومع المأساة المتكرر نموذجها فى العراق الذى يتم التحضير لإقامة دولة يهودية جديدة على أرضه لتمثل الحد الشرقى لإسرائيل الكبرى، وما يقع هناك من خطف للفتيات المسلمات وهتك أعراضهن، وتكرار الإعتداءات الجنسية الفاضحة على رجال العراق فى الشوارع، بالإضافة إلى أطنان الصواريخ والقنابل التى تتساقط على الأفغانيين، فضلاً عن عمليات الإبادة والتطهير العرقى المنظمة ضد المسلمين فى منطقة القوقاز، وما يعانيه المسلمون فى الهند وكشمير التى سيطرت عليها الهند وفى جلال آباد، وما يجدوه فى الفلبين واستراليا – ناهيك عن حصارهم وتجويعهم فى السودان والصومال واليمن، وقريباً سوريا وإيران، والضغط عليهم فى ليبيا وموريتانيا، وتوريطهم فى حرب حتمية يقودها السُنَّةُ فى الجزائر ضد المرتدين والمتنصرين على أيدى جماعات التنصير، ثم اتهام المسلمين هناك بالإرهابيين إلى غير ذلك وهو كثير.

مع ذلك فإننا نجد العالم العربى كله بإمكانياته الهائلة، وموارده الجبارة، ومن خلفه جامعة الدول العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامى – الجميع وقف عاجزاً غير قادر على مجرد الإعلان عن نوايا حسنة لموقف عربى وإسلامى جماعى للتصدى للهجمات المتتالية أو للغارات المتقطعة التى تستهدف المسلمين، وتعمل لاجتثاث الدين الإسلامى، ومحاربة علماء الدين والمشايخ، بينما صفقنا ورقصنا وغنينا كثيراً لكل من (انديرا غاندى)، (جوزيف بروس تيتو)، (ماوتسى تونج)، (جوليوس نيريرى)، الذين حاربوا الإسلام والتهموا دولاً إسلامية كاملة وقد تحللت فى بطونهم وحرقوا أرضهم أو دمروها وزرعوها بالكنائس، وجميعهم أصحاب تاريخ أسود ملعون فى محاربة الإسلام وإبادة المسلمين.

﴿ أَفَلا يعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٨]، ﴿ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٥]، ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿ أَفَلا يتدبَّرونَ ﴾ [النساء: ٨٢].

كذلك ونحن نملك أخطر أسلحة التأثير وأقواها وهو سلاح المقاطعة، أجدنا جميعاً وقفنا عاجزين عن مجرد التلويح باستخدامه فى وجه أهل الكفر والطاغوت الذين اقتحموا علينا حياتنا وبيوتنا ودخلوا غرف نومنا وأفسدوا حياتنا، بل الغريب أن تتسابق بعض الدول العربية والإسلامية إلى إقامة علاقات طبيعية (سياسية واقتصادية وثقافية) مع إسرائيل، هذا بخلاف دول عربية أخرى التزمت الصمت فى ظل حالة غليان وفوران شعبى عام يعانى من ارتفاع شديد فى ضغط الدم نتيجة للضغوط الهائلة الواقعة عليهم جميعاً بالتزام الصمت أو ممارسة التعبير كذلك فى صمت.

* * *

(و) صراع الأديان فى الفلبين

الفلبين: هى إحدى دول جنوب شرق آسيا، وتشكل مساحتها سبعة آلاف جزيرة، وهى تقع فى قلب المنطقة الإستوائية، وتعداد سكانها الآن حوالى الثمانين مليون نسمة تقريباً، وتنتشر بها أربع ديانات:

الإسلام: حوالى ٩٪

الكونفوشية: حوالى ٣٪

المسيحية: وهى الديانة الرسمية التى يدين بها معظم السكان.

وتعرف الفلبين بأنها فردوس الشرق الذى فقدها العرب كما فقدوا الفردوس الغربية فى الأندلس.

وقد تحدثنا عن كيفية دخول الإسلام إلى تلك البلاد، وعن الغزو الصليبى الأسبانى إليها، وبينا كيف أنها أصبحت هى الدولة المسيحية الوحيدة بين جيرانها، وقد انتقلت السيادة الإستعمارية إلى الولايات المتحدة خلفًا لأسبانيا فى المدة من ١٨٩٨ : ١٨٩٩م. وكانت أسبانيا طوال فترة وجودها تمارس ضد المسلمين وبقسوة وجور صراعًا مريرًا لم تتمكن به أو أثناءه من القضاء على الإمارات الإسلامية التى ظلت تحكم نفسها حكمًا إسلاميًا على الرغم من خضوعها تحت الإحتلال الأسبانى.

اتبعت الولايات المتحدة نَمطًا جديدًا فى التعامل مع الفلبينيين، فأعلنت أنها ما جاءت كدولة احتلال، بل جاءت بدافع «نبيل» وهو تحرير الفلبين من الإستعمار الأسبانى، وتلك هى كانت سياستها المعلنة، أما حقيقة الأمور وبواطنها فكانت عكسَ ذلك تمامًا، فقد استحدثت أمريكا أنماطًا جديدة لإيصال الأذى إلى المسلمين فى خبث ومكر تارة، وعلانية ومجاهرة تارات أخرى لإبعاد المسلمين عن دينهم وتنصيرهم، مما تسبب فى اندلاع صدام دموي وصراع مرير دام نحو ثلاثين عامًا بين المسلمين من جانب، والولايات المتحدة ومسيحيّ الفلبين من الجانب الآخر.

وقد اضطرت الولايات المتحدة إلى توقيع معاهدة ضمنت فيها حقوقًا للمسلمين، فى محاولة لتهدئة الصراع، استعدادًا للتعامل مع المتغيرات الدولية التى طرأت على الساحة الدولية، والتى فَرَضَت على العالم بعد ذلك فيما عُرفت بالحرب العالمية الثانية.

ودخلت اليابان إلى حلبة الصراع ضد الفلبين فزحفت إليها عام ١٩٤٣م إثر تهاوى الحلفاء أمام الزحف اليابانى المنتصر، وقد قاوم المسلمون اليابانيين بضراوة وقوة، وما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فى ١٩٤٥م. حتى كانت الفلبين أسبق الدول التى حصلت على استقلالها عام ١٩٤٦م.

غير أن الفلبينيين ورثوا ميراثًا هائلاً من الصليبية الأوروبية (الأسبانية) صاحبة العَدَاء التاريخى، ومن الولايات المتحدة الصليبية المتصهينة الجديدة.

وقد تخلت اليابان، والولايات المتحدة عن الفلبين، ونفضوا فى الغلن أيديهم منها، وتركوا صراعًا مريرًا بين المسلمين والمسيحيين. يغذى تاره القوى الصليبية الخارجية حتى فرغ المسيحيون فى الفلبين بمشاركة عصابات خارجية وعملوا بكل قواهم للنيل من المسلمين فحرقوا مزارعهم، ودمروا منازلهم، وهدموا المساجد فوق رؤوس المصلين، واستحيوا النساء، وهتكوا أعراضهم، وبقروا بطون الحوامل، بمباركة رسمية من رئيس الفلبين (فرديناند ماركس) الصليبى الذى وقف إلى جانب بنى

دينه ضد أبناء وطنه المغايرين فى الدين، فأصدر أوامره للجيش بمهاجمة المسلمين خاصة فى المناطق الجنوبية حيث الأغلبية المسلمة.

ولكن المسلمين ردُّوا هذا الكيد بكيد مثله خاصة بعد أن اكتشفوا قيام جماعة من المسيحيين الفلبينيين أطلقت على نفسها (إيلاجاس) – أى – الفئران، وكانت هذه الجماعة تمثل تنظيمًا سريًا يمارس صورًا متنوعة لتعذيب المسلمين، والقضاء عليهم، والإستيلاء على أراضيهم.

ويؤكد زعماء المسلمين هناك أن حكومة الفلبين كانت وراء ذلك التنظيم[1].

انتفض الأحرار فى ربوع العالم، بعد أن أثارت الصحافة الإسلامية ضجة هائلة أحدثت دويًا كبيرًا بعد نشر فظائع الحكم الماركسى ومآسيه، وتدارك ماركس وأتباعه من عبدة الصليب أن تحقيق نصر على المسلمين بعيد المنال، وبعد وساطات متعددة قبَل الطرفان – الإسلامى – بقيادة الزعيم (نورميسوارى) وحكومة الفلبين إجراء مفاوضات عام ١٩٧٦م. وانتهوا فيها إلى صيغة اتفاق ينص على الآتى:

* الوقف الفورى لإطلاق النار وكافة أعمال العنف بين الطرفين.
* منح الولايات الثلاث عشرة الإسلامية الجنوبية حكمًا ذاتيًا.
* العفو الشامل عن جميع الثوار المسلمين.
* إطلاق سراح المسجونين السياسيين.
* إجراء استفتاء عام يحدد مصير المناطق الإسلامية بأكملها.

وقد تجاهلت الحكومة الفلبينية هذا الإتفاق، ولم تضعه موضع التنفيذ الأمر الذى هدد بإشعال النار من جديد.

وقد تدارك الرئيس الفلبينى الموقف وأبعاده فوعد من جديد بتنفيذ الإتفاق المبرم مع المسلمين، وحتى رحيله لم يفى بوعده.

وما زال العالم الإسلامى كله ودول الجوار هناك، والمهتمون يرقبون الأوضاع ومقدرة السُّلْطات الفلبينية على الوفاء بالتزاماتها حيال ما تم الاتفاق عليه، وما التزمت به من عهود على الرغم من تغيير أكثر من حكومة منذ توقيع الاتفاق حتى الآن، وما زالت كذلك الأوضاع هناك تشهد حتى الآن حالة من الغليان، والفليبينيون يعيشون على شفا بركان.

* * *

(١) المسلمون فى الفلبين ص٤٢ : ٤٣ د. محمد عبدالقادر أحمد.